

## وسطية الإسلام وأثرها في الحفاظ على الشباب من الانحراف

اعداد

سارى زين الدين مهدى سيف الدين

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين - القاهرة

## المقدمة

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تواضعت الرقاب لهيبته، وخضعت الصعاب لقوته فالخلائق له خاشعون ولأمره خاضعون، لا أحصي ثناءً عليك يا الله، أنت كما أثنيت على نفسك، عز جاهك، وجل سلطانك، أقمت بالقرآن شرعا، وقومت به طبعاً، وقطعت به كلمة الكفر قطعاً، وأشهد أن محمداً عبده المنتجب<sup>(١)</sup> ورسوله المنتجب، مهجة المهج<sup>(٢)</sup> ومصدر الحجج، به ظهر الدين وانبلج<sup>(٣)</sup> وبرسالته رفع الحرج، أسرى به الإله وعرج، صلى الله عليه وعلي آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين حملوا لواء الدعوة، وجالوا بما في كل مكان وضحوا بالنفس والنفيس لرفع رايتهما، وإعلاء هامتهما.

وبعد

فإن وسطية الإسلام تقوم على أساس ديني قويم ومنهج منضبط عادل يهدف إلى تنشئة الشباب وتوعيتهم التوعية الاسلاميه السليمة الصحيحة بعيدة عن الإفراط أو التفريط والبعد عن المنهج الصحيح بما يعود عليهم بالنفع والفائدة في دنياهم وآخرتهم، والعمل على بناء الشخصية الاسلاميه المتوازنة للشباب فكريا وعقديا وروحيا واجتماعيا محققا لهم رغباتهم وميولهم ليصبحوا مواطنين أصحاء صلحاء مخلصين يخدمون دينهم ووطنهم وأمتهم الإسلامية.

ولقد كان الدافع من وراء هذه الدراسة أو البحث، ما نراه الآن من ظهور جماعات

(١) انتحبه : اختاره واصطفاه ، والمُنتَجَبُ : المُختارُ . لسان العرب ١ / ٧٤٨ ومختار الصحاح ص ٥٦٨ .

(٢) المَهْجَةُ دم القلب ولا بقاء للنفس بعدما تُراقى مُهْجَتُهَا . لسان العرب ٢ / ٣٧٠

(٣) انبَلَجَ : أسفرَ وأضاء وأشرق . لسان العرب ٢ / ٢١٥

كثيرة ما بين مفرط ومتشدد، والكل يريد أن يستحوذ على الشباب ويأخذه إلى جواره، لأن الشباب في مقتبل عمره كالصفحة البيضاء تسطر فيها ما تشاء واستطاع كثير منهم أن يوقع كثيراً من الشباب في حباله، وجنح بهم عن منهج الإسلام الوسط، ووقع الظلم على أهل الحرث.

وأدى ذلك إلى اعتداء كثير من أعداء الإسلام على مقدساتنا وممتلكاتنا وسلبوا أموالنا، ووصموا إسلامنا بتهم هو منها براء كالإرهاب وقتل الأبرياء وترويع الأمنين. واستطاعوا أن يصدوا كثيراً عن الإسلام، ولكن الله ناصر دينه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ. لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١).

ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول: مفهوم الوسطية.

المبحث الثاني: أسس الوسطية.

المبحث الثالث: سبل تحقيق الوسطية.

المبحث الرابع: الآثار المترتبة على تحقيق الوسطية لدى الشباب

## المبحث الأول

### مفهوم الوسطية

إن مقومات رسالة الإسلام القائمة على الخاتمية والعالمية (١) والخلود إلى يوم القيامة تتطلب المنهج الوسط الرصين والحكيم (٢) القائم على العقلانية، والحكمة والاعتدال، والسماحة والتوازن، ومسيرة الفطرة الإنسانية، ومراعاة اختلاف الأمزجة والميول والتزعات والرغائب، والحرص على تطبيق العدل والمساواة والحرية، وصون الكرامة الإنسانية، وكل ما من شأنه الحفاظ على حقوق الإنسان، والإشادة بالبناء العقدي الراسخ والبعد عن كل عوامل الهدم والضعف والأساطير والخرافات.

من أجل ذلك انفردت الأمة الإسلامية بميزة لم تكن لأمة من قبل، وهي خصيصة الوسطية التي ورد وصف الأمة بها في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٣).

وقبل الكلام عن مفهوم الوسطية وبما أن الكلام عن دور وسطية الإسلام في الحفاظ على الشباب من الانحراف.

أود أن أقول: لماذا انصب اهتمامي على الشباب ؟

انصب اهتمامي على الشباب لعدة أمور:

(١) راجع في ذلك : عالمية الدعوة الإسلامية د/ على عبد الحليم محمود ٢٥٨ ط رابعة دارالوفاء بالمنصورة

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م الدعوة الإسلامية دعوة عالمية محمد الراوي مكتبة العبيكان المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ

(٢) انظر المدخل إلى علم الدعوة - محمد أبي الفتح البيانوني ٢٤٤ - ٢٧٠ الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ

والإسلام - سعيد حوى ١٣٩/٤ - ١٤٢ "دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ بحث في أن

نظام العالم قائم على الحكمة"

(٣) سورة البقرة ١٤٣.

(١) سورة الأنفال الآيات ٣٦ ، ٣٧ .

أولاً: إن "مرحلة الشباب" من حياة الإنسان، هي المرحلة الأخطر والأدق باعتبارها بداية التكليف الشرعي، ونشوة العمر وجدته، ولهذا اهتم المصلحون بالشباب لرعاية شؤونهم، وتوجيه سلوكهم، وتقويم انحرافهم، ووقاية أخلاقهم ليعيشوا حياة سعيدة مستقرة، ويكونوا سعداء صالحين.

ولا شك أيضاً في: أن كثيراً من الشباب في عصرنا، مهملون مضيقون.. مغشوشون مزلزلون.. تتخطفهم العقائد الفاشلة.. وتتقاذبهم التيارات الفاسدة.. لا موجه يوجههم نحو هدف شريف.. ولا قائد لهم يقودهم صوب غاية حميدة.. ولا حاكم يعطيهم جهده واهتمامه، وعطفه وحنانه.. فلذلك: هم في ضياع.. وفراغ.. وصراع.. لا تمتدّ لنجدتهم يد.. ولا يوضع لمأساتهم حد.. ولا تعالج أزماتهم بالجد.

تجاه هذا الواقع السيئ لكثير من هؤلاء الشباب: رأيت من واجبي نحوهم، أن أساعدهم بالنصيحة والرأي، وأعاونهم بالمشورة والتوجيه، فأبين لهم أخطر ما يعانون من أزمات ومتاعب، وأعرفهم على أسبابها.. ومصادرها.. والمسؤول عنها.. وطرق حلها، والخروج منها، والتغلب عليها (١)

ثانياً: الشباب أكثر الناس تأثراً بالقيم الغربية والشرقية لأنهما فترة بناء، قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ (٢)

فالشباب يتلقى القيم المختلفة وتكون عنده متراكمة، لأن قلبه وعاء ما يزال خالياً. قال الشاعر: (٣)

(١) انظر أزمات الشباب أسباب وحلول للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان ص ٣ دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان

(٢) سورة النحل ٧٨

(٣) هو مجنون بني عامر صاحب ليلي وهو معاذ بن كليب العقيلي من بني غنم. ويقال هو معاذ الملوحة وهو أبو

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى.... فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فإذن قلب الشاب وعاء، إما أن تغرس فيه القيم الإسلامية أو يغرس فيه غير القيم الإسلامية شاء الأب أم لم يشأ، شاء المربون أم لم يشأ المربون.

فلا بد أن يكون ثم هذا أو ذاك، لذا ينبغي المبادرة إلى غرس القيم الإسلامية التي جعلها الله وسطاً فلا إفراط ولا تفريط حتى تتمكن فيه وتكون إلفاً له وقناعة له بعد ذلك. فالشباب في مرحلة شبابه كالصفحة البيضاء تسطر فيها ما تشاء، ولقد استغل الأعداء هذا فوجهوا جهودهم الشيطانية إلى شبابنا المسلم فعملوا على انهيار أخلاقه بشتى الوسائل، واختلقت بعض القيم على حد ما من الاختلاف، لهذا تولدت روح جديدة عند الأجيال أثرت بشكل ما على كثير من قيمنا الإسلامية.

هذه كلها مؤثرات مجتمعة كامل على الشباب الذين أصبحوا فيما بعد شيئا وورثهم شباب أيضاً أثرت عليهم البيئة والتربية حتى صار عندنا اختلافاً كبيراً في القيم؛ لهذا لا نستغرب أن يوجد في مثل بروتوكولات صهيون.

في البروتوكول الثالث عشر مثلاً يقول قائلهم: يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا.

وفي البروتوكول العاشر يقول: سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين ونفسد أهميتها التربوية.

ويقول أيضاً في البروتوكول الثالث: قد خدعنا شباب الكفار - ويعني بهم غير اليهود الكلام من البروتوكولات - قال: وأدرنا رأسه فأفسدناه بتلقيه المبادئ والنظريات التي

قيس المجنون صاحب ليلي. وهو القائل

شفى الله من ليلي فأصبح حبها ... بلا حمد ليلي زيلتني حباته

سوى أن روعات يصبن فواده ... إذا ذكرت ليلي ودا يطلوله

معجم الشعراء - المرزباني ص ٩٤

نعرف أنها خاطئة على الرغم أننا نحن الذين قمنا بتعليمها (١)

ثالثاً: مراعاة الله للإنسان شاباً

يظل الطفل فترة من حياته لم يجر عليه القلم، وإنما لم يجر الله عليه القلم لأنه لا عبرة بما يفعل، وإذا كان لا عبرة بما يفعل، فإن هذا يدل على أنه لا قيمة لأفعاله تأثيراً في المجتمع إيجاباً أو سلباً، وهذا يقلل من شأنه من غير شك.

بل إن الطفل في هذه المرحلة هو المتأثر بالمجتمع إيجاباً أو سلباً " فالطفل يكون فيها كالعجينة اللينة في يد العجّان يشكلها فتتشكل بلا معاندة ولا معارضة فهو يصدق كل ما يسمع ويلقن العقائد والأفكار والعادات فيقبل، إنه يثق بوالديه ثقة مطلقة إذ هو يراها الصدق كله والشجاعة والشهامة والأمانة، فلا يخطر على باله أنهما قد يلقنانه الضلال، أو يعلمانه الفسوق والعصيان، أو يكذبان عليه ويغشّانه، فلذلك هو يأخذ عنهما ويقلدهما من دون تردد، وبلا تحفظ، فلو أنهما عوداه عبادة الخنزير لعبده، ولا عجب في ذلك فقد جاء في الحديث الشريف فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متعددة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبُهَيْمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ (٢) " والجدعاء هي مقطوعة الأذن (٣).

فالطفل في هذه المرحلة تحت إمرة أبيه أراد به خيراً أو شراً عن أنس رضي الله عنه قَالَ كَانَ غُلامًا يَهُودِيًّا يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ « أَسْلِمَ » فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِيعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَاسْلَمْ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ

(١) من محاضرة للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ تحت عنوان تعميق الصلة بين الشباب والقيم الإسلامية.

(٢) أخرجه البخاري ك الجنائز ب إذا أسلم الطفل هل يصلى عليه ٥ / ٢٨٠ ح ١٢٥٨ ومسلم ك القدر ب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار ١٧ / ١٨٧ ح ٦٩٣٦ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين ابن الأثير - دار ابن الجوزي ص ١٤١

يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ (١)

فلو لم يأذن الأب لابنه هذا بالإسلام ما أسلم.

والطفل بسبب واقعه هذا، ليس مسؤولاً عن أعماله وتصرفاته، ولا هو مؤاخذ بها، حتى يبلغ سن التكليف، فعندها يصبح مؤاخذاً بثناب ويعاقب، فقد روي الإمام أحمد وأبو داود، والترمذي والنسائي وابن حبان وغيرهما، عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم عن النبي ﷺ أنه قال: رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ (٢).

إن عدم المؤاخذة الشرعية على الطفل في هذه المرحلة، لا يعني أن الانحراف الذي يتعوده في العقيدة والسلوك لا يضره، ولا يؤثر عليه في المراحل التالية من حياته، بل إن تلك الانحرافات، ستنتقل مع الطفل الى مرحلة الشباب، التي هي أولى مراحل التكليف الشرعي، فيصير فيها مكلفاً مسؤولاً عن أعماله وأقواله ومؤاخذاً بها، فيثناب على الطاعة، ويحمل وزر المعصية، وعندها سيعاني الشاب من نتائج أخطاء الأبوين والموجهين الذين أشرفوا عليه في مرحلة " الطفولة " وسيكون نجاحه أو فشله مرتبطاً برغبته وقدرته على ترك ذلك السوء الذي ورثه إياه (٣).

فالطفل حتى يبلغ سن التكليف، يأخذ ويتلقى ويقلد ويصدق أي شيء ولو من الخرافات والأساطير، فهو إن نشأ مؤمناً، فإيمانه بإيمان أبيه، أو أحدهما اللذين ربياه على

(١) أخرجه البخاري ك الجنائز ب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ٥ / ٢٨٧ ح ١٣٥٦

(٢) أخرجه أبو داود ك الحدود ب في المجنون يسرق أو يصب حدًا ١٣ / ٣ ح ٤٤٠٥ والترمذي ك الحدود ب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد ٥ / ٤٧٧ ح ١٤٨٨ وأحمد ٥٤ / ٤٠ ح ٢٥٤٣١ من طريق عائشة

(٣) انظر أزمات الشباب أسباب وحلول للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان ص ٤ دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان

الفترة السليمة، وإن نشأ كافراً فكفره من كفر أبويه اللذين علماه الكفر وريّاه عليه.

رابعاً: اهتمام الأنبياء بهم:

إن تربية الأنبياء عليهم السلام كانت متجهة للشباب، قال جل وعلا ﴿ فَمَا آمَنَ بِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِم أَن يُفْتِنَهُمْ ﴾ (١).

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى أنه لم يؤمن لموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات إلا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يردوهم على ما كانوا عليه من الكفر.

وقال تعالى: ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٢)

ولفظ الفتية هنا يدل على أنهم كانوا شباباً (٣)

وعن أنس - رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتاه رجلٌ وذكوانٌ وعصيةٌ وبنو لحيان، فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدوه على قومهم، فأمدهم النبي ﷺ بسبعين من الأنصار قال أنس كنا نسميهم القراء يحطبون بالنهار ويصلون بالليل، فأنطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم، فقتل شهراً يدعو على رجلٍ وذكوانٍ وبنو لحيان (٤)

وهؤلاء كانوا من الشباب ويدل على ذلك: ما رواه أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال في قصة بئر معونة: كان شبابٌ من الأنصار سبعين رجلاً يُسمون القراء، قال كانوا يَكُونُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا أَمْسَوْا اتَّحَوْا نَاحِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَيَتَدَارَسُونَ وَيُصَلُّونَ

يَحْسِبُ أَهْلُوهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْسِبُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ أَنَّهُمْ فِي أَهْلِيهِمْ حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فِي وَجْهِ الصُّبْحِ اسْتَعَذَّبُوا مِنَ الْمَاءِ وَاحْتَطَبُوا مِنَ الْحَطَبِ فَجَاءُوا بِهِ فَأَسْتَدَوْهُ إِلَى حُجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ جَمِيعًا فَأَصِيبُوا يَوْمَ بَيْرِ مَعُونَةَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَتْلِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فِي صَلَاةِ الْعَدَاةِ (١)

ومعنى ذلك أن النبي ﷺ كان اهتمامه بغرس العلم والاهتمام به فكان اهتمامه بمؤلاء الشباب وهم الذين حملوا العلم عنه، وهم الذين أيضا بقوا إلى زمن متأخر وهذا أنس ابن مالك بقي بعد النبي ﷺ نحو من مائة عام، وآخر الصحابة وفاة توفى بعد المائة من الهجرة (٢)

وهذا يعني أن الاهتمام بهذه النوعية من الناس لغرس القيم هو بقاء هذه القيم لأجيال؛

خامساً: الاهتمام بالشباب اهتماماً بالمستقبل

إن الاهتمام بالشباب اهتماماً بالمستقبل، لأن هذه طبيعة الحياة، أرحام تدفع أرض تبلع، وبين هذا وذاك ناس ترتع.

وإن القادر على تغيير وجه المستقبل أكثر تغيير هم الشباب، ولن يتم ذلك إلا بتعلمهم الوسطية وتربيتهم عليها، حتى يصبحوا أعضاء صالحين في مجتمع إسلامي صالح. وقد رأينا ذلك في عصرنا الحاضر وذلك من خلال ثورة الخامس والعشرين من يناير

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٨ / ٣٤٣ ح ١٣٨١٠

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي البصري خدام رسول الله ﷺ يكنى أبا حمزة سمي باسم عمه أنس بن النضر أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية أول امرأة ماتت في غزو المسلمين للبحر . قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن عشر سنين وقيل ابن ثمان سنين ، كان من الذين شهدوا بدرًا توفي سنة إحدى وتسعين وقيل سنة اثنتين وتسعين وقيل سنة ثلاث وتسعين وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين وقيل كانت سنة إذ مات مائة سنة وعشر سنين . انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ابن عبد البر ١ / ٣٥ تهذيب التهذيب - ابن حجر ٦ / ٦٢٣

(١) سورة يونس ٨٣

(٢) سورة الكهف ١٠

(٣) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألويسي ١١ / ١٥٩ وزاد المسير - ابن الجوزي ٤ / ٢٠٤

(٤) أخرجه البخاري ك الجهاد ب القونن بالمَدَدِ ١١ / ١٤٢ ح ٣٠٦٤

والتي بدأ بها الشباب.

تعريف الوسطية

الوسطية في اللغة

جاءت كلمة (وسط) في اللغة لعدة معانٍ، ولكنها مُتقاربة في مدلولها عند التأمل في

حقيقتها ومآلها.

قال ابن منظور: (وسط) وَسَطُ الشَّيْءِ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ قَالَ: إِذَا رَحَلْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطًا  
إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَا أَيِ اجْعَلُونِي وَسَطًا لَكُمْ تَرْفُقُونَ بِي وَتَحْفَظُونِي فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا  
كُنْتُ وَحْدِي مُتَقَدِّمًا لَكُمْ أَوْ مُتَأَخِّرًا عَنْكُمْ أَنْ تَفْرُطَ دَابِئِي أَوْ نَاقِي تَنْصَرَعَنِي (١)

ووسط القوم - بسكوها - وهو أوسطهم حسبًا إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم  
محلًا (٢).

قال الشيخ أبو محمد بن بري رحمه الله هنا شرح مفيد قال: اعلم أن الوسط  
بالتحريك اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه كقولك قَبَضْتُ وَسَطَ الْحَبْلِ وَكَسَرْتُ وَسَطَ  
الرَّمْحِ وَجَلَسْتُ وَسَطَ الدَّارِ، وَأَمَّا الْوَسْطُ بِسُكُونِ السَّيْنِ: أَفْضَلُهُ وَأَعَدَّلَهُ (٣)  
ومن هذا الكلام يتضح أن (وسط) تأتي بفتح السين وسكوها، وفتحها أكثر استعمالاً  
كما سيأتي.

ويمكن إجمال المعاني التي جاءت تدلّ عليها هذه الكلمة فيما يلي:

١- قال ابن منظور: الوسط بالتحريك اسم لما بين طرفي الشيء يقال: جلست وسط  
الدار وأنشد ابن بري للراجز:

الحمد لله العشيّ والسفرُ ووسط الليل وساعاتٍ أُخرٍ (١)

٢ - (وسط) بسكون السين تكون ظرفاً بمعنى (بين) قال في لسان العرب: وأمّا الوسط  
بسكون السين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزن نظيره في المعنى وهو (بين)، تقول:  
جلست وسط القوم، أي: بينهم ومنه قول سوار بن المضرب:

إني كأني أرى من لا حياء له... ولا أمانة وسط الناس غريباً

وقد أشارت بعض المعاجم اللغوية إلى التفريق بين كلمة وسط - بالتحريك -  
ووسط - بالسكون - فقالوا: إن كل موضع يصلح فيه (بين) فهو بالسكون، وما لا  
يصلح فيه (بين) فهو بالفتح.

وقيل: كل منهما يقع موضع الآخر، قال ابن الأثير: وهو الأشبه (٢)

وقال الزبيدي: وقديماً كنت أسمع شيوخنا يقولون في الفرق بينهما كلاماً شاملاً لما  
ذكر، وهو الساكن متحرك، والمتحرك ساكن (٣).

٢- وتأتي - بالفتح - صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء أفضله  
وخياره: كوسط المرعى خير من طرفيه ومرعى وسط أي: خيار.  
وواسطة القلادة الدرّة التي وسطها وهي أنفُس خرزها وأجودها (٤). وقول ابن  
الرومي في رثاء ولده:

توخى حمام الموت أوسط صبيتي... فله كيف اختار واسطة العقد

أي أفضل وأعز وأجمل أولاده ومعنى هذا أن لفظ وسط في لغة العرب كما ذكرت

(١) المرجع السابق ٧ / ٤٦٢

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين ابن الأثير ٩٧٢ دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية

الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ

(٣) انظر تاج العروس ٥ / ٣٤٠

(٤) انظر لسان العرب بن منظور ٧ / ٤٦٢

(١) لسان العرب - ابن منظور ٧ / ٤٦٦ دار صادر - بيروت الطبعة الأولى

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس ٦ / ١٠٨ تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار  
الفكر الطبعة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٣) انظر لسان العرب بن منظور . مادة وسط ٧ / ٤٦٢

سابقاً يعني الأعدل والجيد والأفضل<sup>(١)</sup>

٤- وتأتي وسط - بالفتح - بمعنى عدل، قال ابن فارس: وسط: بناء صحيح يدل على العدل، وأعدل الشيء أو وسطه ووسطه<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن منظور: ووسط الشيء وأوسطه: أعدله<sup>(٣)</sup>.

وقال الفيروزآبادي: الوَسَطُ - محرّكةً - من كلّ شيء أعَدَلُهُ، " قال تعالى " وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً "، أي عدلاً خياراً<sup>(٤)</sup>.

٥- وتأتي (وسط) بالفتح - أيضاً - للشيء بين الجيد والرديء.

قال الجوهري: ويقال: شيء وسط: أي بين الجيد والرديء<sup>(٥)</sup>.

ومنه ما ورد في الحديث: « ولكن من وسط أموالكم فإن الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره »<sup>(٦)</sup>.

٦- ويقال (وسط) لما له طرفان مذمومان، يراد به ما كان بينهما سالماً من الذمّ، وهو الغالب.

قال الراغب: والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان<sup>(٧)</sup>.

ومثال ذلك: السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور<sup>(٨)</sup>.

(١) المرجع السابق ٧ / ٤٦٢

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ٦ / ١٠٨

(٣) انظر لسان العرب - ابن منظور ٧ / ٤٦٢

(٤) انظر القاموس المحيط - الفيروز آبادي ٢ / ٢٤٢

(٥) انظر الصحاح - الجوهري أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي مادة (وسط) المكتبة العلمية - بيروت ص (٢٥٢) -

(٦) أخرجه أبو داود ك الزكاة ب زكاة السائمة ٥ / ١١١ ح ١٥٨٤

(٧) انظروا المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني ص ٥٢٢ .

(٨) انظر الوسطية لفريد عبد القادر ص ٩ .

وكيفما تصرّفت هذه اللفظة نجد أنها لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية، والنصف والبيئية، والتوسط بين الطرفين فتقول: (وسطاً) بمعنى المتوسط المعتدل.

ومنه قول الأعرابي:

علمني ديناً ووسطاً، لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً

فإن الوسط هاهنا المتوسط بين الغالي والجافي<sup>(١)</sup>.

و(وسيطاً) أي: حسيباً شريفاً، قال الجوهري: وفلان وسيط في قومه، إذا كان

أوسطهم نسباً، وأرفعهم محلاً.

قال العرجي:

كأني لم أكن فيهم وسيطاً... ولم تك نسبي في آل عمرو<sup>(٢)</sup>

والوسط: اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به، أو للشيء الواقع بين أشياء تحيط به، ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض عرفاً، ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به، أخذ فيه معنى الصيانة والعزة؛ كوسط الوادي لا تصل إليه الرعاة والدواب إلا بعد أكل ما في الجوانب، فيبقى كثير العشب والكأ، ووضعاً: كوسط المملكة يجعل محلّ قاعدتها، ووسط المدينة يجعل محلّ قصبته؛

لأن المكان الوسط لا يصل إليه العدو بسهولة، وكواسطة العقد لأنفس لؤلؤة فيه.

فمن أجل ذلك صار معنى التفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفاً

فأطلقوه على الخيار النفيس كناية، قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم... إذا نزلت إحدى الليالي بمعضل

(١) انظر لسان العرب - ابن منظور ٧ / ٤٦٢

(٢) انظر الصحاح - الجوهري ص ٢٥٢

ويقال: أوسط القبيلة، لصميمها.

ويفهم من ذلك: أن خير الأمور أوسطها

وقد شاع هذان الإطلاقات حتى صارا حقيقة عُرفيّة .

الوسطية في الشرع والاصطلاح: والوسطية في الشرع والاصطلاح تعني: العدل والاستقامة والخيرية والاعتدال والقصد والفضل والجودة<sup>(١)</sup>

وقد عرفها العلماء بتعريفات كثيرة، اذكر بعضاً منها إن شاء الله تعالى:

الوسطية: هي وسط بين أمرين فلا تشديد فيه ولا تساهل، ولا إفراط ولا تفريط ولا غلو فيه ولا تعصب ولا تمأون، فلا رهبانية في الإسلام، ولا تضييع لمصلحة الأمة، والمسلمون أمة وسطاً عدولاً خياراً بلا إفراط ولا تفريط في أي شأن<sup>(٢)</sup>

والوسطية: اعتبار الإسلام لجميع الحقائق الواقعة دون تعسف ودون هوى ودون شهوة ودون غرض، ودون جهل ودون قصور<sup>(٣)</sup>

والوسطية: حالة محمودة تدفع صاحبها للالتزام بمد الإسلام دون انحراف عنه أو تغيير فيه، بل تستقي الهدى الصادق من النبع الصافي لتجعل الأمة عادلة تقيم العدل بين الناس وتنشر الخير، وتحقق عمار الأرض بوحدانية الله تعالى والإخاء الإنساني بين البشر، فيعطى في ضل الإسلام كل ذي حق حقه<sup>(٤)</sup>

وهي مؤهل الأمة الإسلامية من: العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة

(١) بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو بمجموعة من العلماء - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة - الثانية ١٤٢٥هـ

(٢) انظر التفسير الوسيط د . وهبة الزحيلي ١ / ٦٤ دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ

(٣) انظر خصائص التصور الإسلامي - الشيخ سيد قطب - دار الشروق - الطبعة السادسة عشر

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

(٤) موقع اون لاين سلسلة رسائل تصدر عن وحدة التأصيل الشرعي بالمركز العالمي للوسطية

الحجّة عليهم<sup>(١)</sup>

وقد وردت كلمة الوسط ومشتقاتها في ذات المعنى تقريبا مرات عديدة في القرآن

الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة، منها ما جاء في القرآن الكريم:

قوله الله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

ومن تفاسير هذه الآية أن المراد بالصلاة الوسطى هي صلاة العصر لأنها واقعة بين

صلاحي النهار وصلاحي الليل.

وقوله تعالى في كفارة اليمين ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا

تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾<sup>(٣)</sup>

يفسر العلماء " أوسط الطعام " هنا بأنه لا مغالاة في جودته أو في رداءته وكذلك

في ثمنه ما بين غلو في الارتفاع أو نزول في الانخفاض

وقوله تعالى ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>

وأوسطهم أي: أعدلهم<sup>(٥)</sup>

(١) الوسطية في ضوء القرآن الكريم - ناصر بن سليمان العمر ١ / ٣٧

(٢) سورة البقرة ٢٣٨

(٣) سورة المائدة ٨٩.

(٤) سورة القلم ٢٨.

(٥) قال الطوفي عند قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي عدولاً خياراً كذلك قال أئمة أهل

اللغة والتفسير . قال الجوهري - الوسط من كل شيء أعدله وقال أهل المعاني - قيل للعدل - وسط

لتوسطه بين طرفي الإفراط والتفريط في أخلاقه . والدليل على أن المراد بالوسط العدول قوله تعالى ﴿

لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أي لتشهدوا يوم القيامة على الأمم أن أنبياءهم بلغوهم أمر الله تعالى

بالتوحيد وأحكامه فدل على أن المراد بالوسط من تقبل شهادته خصوصاً في ذلك اليوم على ذلك الخلق

العظيم وهو العدل شرح مختصر الروضة نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي ٣/ ١٧ - ١٨ تحقيق د/

عبد الله التركي مؤسسة الرسالة ١٤٢٤ هـ

ولفظ الوسط لغة بمعنى أنه ما يكون بين طرفين، وسط الشيء ما بين طرفيه وأعدله<sup>(١)</sup>.

والتوسط بين التقيضين والأوسط بمعنى الاعتدال والأبعد عن الغلو، وكذلك يأتي بمعنى الأفضل، إذ الوسط بطبيعة الحال محمي من العوارض والآفات التي تأتي أطراف الشيء. ويستعمل الوسط في الفضائل ثم صار الوسط وصفا للمتصف بالفضائل يقال: رجل وسط وأمة وسط.

ويقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾<sup>(٢)</sup> أي إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط هنا الخيار والأجود<sup>(٣)</sup>

ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ سئل عن الوسط في هذه الآية فقال: وسطا عدلاً

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله عز وجل ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قَالَ: عَدْلًا<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتَسْأَلُ أُمَّتَهُ هَلْ بَلَغْتُمْ؟

(١) أصول المجتمع الإسلامية - د جمال الدين محمد محمود ص ١٧٠ - دار الكتاب المصري - القاهرة - دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم - الحافظ ابن كثير ١ / ١٨١ دار الحديث - القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

(٤) أخرجه الإمام أحمد ٢٣ / ٣٩٨ ح ١١٣٦٦.

فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، قَالَ: عَدْلًا لِيَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا<sup>(١)</sup>.

ومعنى الأمة الوسط أنها أفضل الأمم وأعدلها وأكملها وأبعدها عن الغلو فمثل هذه الأمة تحميها وسطيته مما يلحق بأخواتها - إذا جانبت الوسطية - من النقائص والعيوب من جميع النواحي<sup>(٢)</sup>.

وسطاً في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود بأن آمنوا بهم كل على الوجه اللائق بذلك.

ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود، ولا تهاون النصارى.

ووسطاً في باب الطهارة والمطعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم طيبات عقوبة لهم.

ولا كالنصارى الذين لا يُنجسون شيئاً ولا يُحرّمون شيئاً، بل أباحوا ما دبّ ودرج.

بل طهارة الأمة الإسلامية أكمل طهارة وأتمها، وأباح لهم الطيبات من المطاعم، والمشارب، والملابس، والمناكح، وحرّم عليهم الخبائث من ذلك.

فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها.

ولن نعني بوسطية الإسلام أو وسطية الأمة الإسلامية، وسطية تاريخية ولا جغرافية ولا ثقافية ولا عرقية لأن معيار الصلاح والتقوى هو المقياس الذي وضعه الإسلام منهجاً

تقاس به أفضلية الأمم والأفراد وكمالها.

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

(١) أخرجه البخاري ك أحاديث الأنبياء ب قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا ١١ / ٥٠٠ ح ٣٣٣٩

(٢) أصول المجتمع الإسلامي - د جمال الدين محمد محمود ص ١٧١

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾

والأمة الإسلامية لكونها أمة وسطاً وسط لها مسؤولية ربانية مكلفة بأن تحمل أكمل منهج وأقومه في العقيدة والأخلاق والتشريع إلى بقية المجتمعات الإنسانية مكلفة بدعوة الأمم الأخرى إلى الصراط المستقيم منهج الله الذي يضمن للإنسان والمجتمع الحق والخير ويحقق له السعادة

وذلك بالأساليب والطرق الحكيمة الرشيدة التي بينها الله سبحانه وتعالى في قوله

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٢)

وكذلك بالقدوة بأن يصبح المجتمع الإسلامي مجتمعاً سليماً يحقق لأهله وللشعب جميعاً الحق والخير والسعادة والاستقرار، خصوصاً في الأوقات والظروف التي يزداد فيها الانحراف والبعد عن المنهج الرباني ويكثر فيها العنف والتطرف وتشويه صورة الإسلام الحقيقية والنيل منه (٣).

إن كثيراً من تعاليم الإسلام السمحة قد شوهت بين الغالي فيها والجافي وهذا يفصح عن خطورة الابتعاد عن الوسطية التي هي أبرز سمات الأمة الإسلامية الإسلام وسط فلا إفراط ولا تفريط، وسط فلا طغيان ولا نقصان، وسط فلا تشدد ولا ترخص، وسط بين رعاية حقوق الفرد على حساب الجماعة، أو العناية بمصالح الجماعة على حساب الفرد، فلا يظلم جانب على حساب جانب آخر والوسطية تعني التوازن فلا يختل أمر على حساب آخر (٤)

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(٣) أصول المجتمع الإسلامي د/ جمال الدين محمد محمود ص ١٧٤

(٤) مقومات الداعية الناجح د/ علي بن عمر بن أحمد بادحدح ص ٢٢٦ الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ /

٢٠٠٢ م . دار الأندلس الخضراء - جدة

ويريد الله - سبحانه وتعالى - للمسلمين أن يحملوا للعالم رسالة الحب والخير والعدل لتحقيق وسطية هذه الأمة، وكذلك يريد منهم أن يزيلوا الظلم والطغيان فلم يحمل المسلمون السيف في وجه الجاهلية إلا لأنها طغت وتجبرت ووقفت في وجه الدعوة الإسلامية، ولم يشن المسلمون حربهم ضد الفرس والرومان والغدر اليهودي إلا بتجنيتهم على القيم الإنسانية العالية التي يعتز بها بنو البشر (١).

فالإسلام دين وسط واسع الأفق قابل لكل تجديد في سبيل الرقي والتقدم والبناء ويرفض الجمود والتعصب والعنف والهدم.

فوسطية الإسلام تسعى إلى تحقيق منهج في الحياة لإيجاد التوازن في حياة الإنسان الروحية والمادية وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها، منهج يلتقي فيه عالم الشهادة بعالم الغيب، لأن الإسلام دين عقيدة يرتكز على المادة والروح معا.

فتلك وسطية اكتملت أصولها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كما رسمها القرآن الكريم، ولم تحدث ظاهرة زيادة شيء جديد لها من بعد، وليس فيها سر ولا نقصان ولا ما يصطدم مع العقل أو العلم أو الفطرة.

فالوسطية مزية فريدة للإسلام حتى يطمع كثير من الناس أن تحقق للبشرية عملاً مهماً.

يقول هاملتون جب: أو من بأن الإسلام لا تزال له رسالة يؤديها إلى الإنسانية جمعاء حيث يقف وسطاً بين الشرق والغرب وإنه أثبت أكثر مما أثبت أي نظام سواه مقدرته على التوفيق والتأليف بين الأجناس المختلفة، فإذا لم يكن بدّ من وسيط يسوي ما بين الشرق والغرب من نزاع وخصام فهذا الوسيط هو الإسلام (٢)

(١) الدعوة الإسلامية والقوى المضادة د/ نجيب الكيلاني ص ٨٧-٨٨ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

- مؤسسة الرسالة - بيروت

(٢) عالمية الإسلام - أنور الجندي ص ٣٧ دار الاعتصام

فوسطية الإسلام تقتضى إيجاد شخصية إسلامية متزنة تقتدي بالسلف الصالح في شمول فهمهم واعتدال منهجهم وسلامة سلوكهم من الإفراط والتفريط والتحذير من الشطط في أي جانب من جوانب الدين، والتأكيد على النظرة المعتدلة المنصفة والموقف المتزن من المؤسسات والأشخاص في الجرح والتعديل<sup>(١)</sup>.

ووسطية الإسلام تلزم الأمة الإسلامية بمقاومة الغلو والتطرف في الدين، ورد الغلاة إلى منهج الاعتدال والحكمة، ورعاية حقوق نفسه وحقوق غيره، وحينما نتحدث عن وسطية الإسلام يتبادر إلى أذهاننا ما يقابلها من كلمة سائدة على السنة الناس اليوم وهي التطرف الديني.

فالإسلام يدعو إلى الوسطية ويحذر من التطرف بجميع صورته وأشكاله.

والنصوص الإسلامية تدعو إلى الاعتدال وتحذر من التطرف، وتعبّر عنه بعدة ألفاظ منها: الغلو والتنطع والتشديد، فمن خلال تلك النصوص أصبح من الواضح الجلي أن الإسلام ينفر أشد النفر من هذا الغلو ويحذر منه أشد التحذير.

قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾<sup>(٣)</sup>  
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ<sup>(٤)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قوله " إياكم والغلو في الدين " عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " هلك المنتعون " قالها ثلاثاً<sup>(١)</sup>.

أي المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم

وقد أمرنا الله تعالى بالتوسط في كل شيء

قال تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>

وقد اتضح من النصوص الشرعية المذكورة وغيرها أن الإسلام منهج وسط في كل شيء، في التصور والاعتقاد والتعبد والتنسك والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع، وينهى عن الغلو والتطرف<sup>(٤)</sup>

قال الشهيد سيد قطب: أمة وسطاً في التصور والاعتقاد، أمة وسطاً في التفكير والشعور، أمة وسطاً في التنظيم والتنسيق، أمة وسطاً في الارتباطات والعلاقات أمة وسطاً في الزمان، أمة وسطاً في المكان ثم قال: وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذي وهبه الله لها، إلا أنها تخلت عن منهج الله الذي اختاره لها، وأتخذت لها مناهج

(١) الرائد دروس في التربية والدعوة - الشيخ مازن بن عبد الكريم الفريح ٢ / ٩ ، ١٠ ، دار الأندلس الخضراء - جدة - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م

(٢) سورة المائدة الآية ٧٧.

(٣) سورة النساء الآية ١٧١.

(٤) أخرجه ابن ماجه ك المناسك ب قدر حصي الرمي ٩ / ٢٦٠ ح ٣١٤٤ وأحمد ٧ / ٣٣١ قال الألباني

في صحيح ابن ماجه ٢ / ١٧٧ صحيح

(١) أخرجه مسلم ك العلم ب هلك المنتعون ١٧ / ٢٢٣ ح ٦٩٥٥

(٢) سورة الأعراف الآية ٣١ ، ٣٢

(٣) سورة المائدة الآية ٨٧ .

(٤) وسطية الإسلام - صالح حبيب الله ص ٩.

مختلفة. (١)

وهذه الوسطية هي الواردة في الفاتحة باسم " الصراط المستقيم " التي تعبدنا الله بها أي بالفاتحة في كل صلاة لكونها أم الكتاب، ومن خصائص هذا الصراط المستقيم أنه موصل للغاية السامية رضا الله سبحانه والفوز بالآخرة، وهو وحده كذلك دون الطرق الأخرى المتوتية والمعوجة، وأنه طريق مأنوس بالسائرين إلى الله من المنعم عليهم غير المغضوب عليهم، وهم أولئك الذين عرفوا الحق وخالفوه، وغير الضالين الذين جهلوا الحق واجتهدوا في جهلهم وتمادوا في غيهم، فأمة الوسط بين هذين الطرفين المنحرفين عن الحق.

وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الوسطية بشجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

وهي المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وكما جعل الله الأمة الإسلامية وسطا بين الأمم فقد جعل قلبتها وسطا بين الجهات.

فهي إذن أمة وسط في قبة الصلاة " فاختار القبلة الوسط في الجهات للأمة الوسط

في الأمم (٢)

ومرة ذلك استحقاقها أن تكون أمة الشهادة على الناس. ولا تستحق ذلك إلا إذا تحققت فيها شروط الشهادة وأهمها: العلم والعدالة والاستقامة على الصراط المستقيم والقيم الخالدة والأخلاق السامية والخلال الحميدة التي عبر عنها القرآن الكريم بإيجاز

(١) انظر في ظلال القرآن ١ / ١٣١.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية ٤ / ٩٦٦ مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة تحقيق هشام عبد العزيز عطا وآخرون الطبعة الأولى ١٤١٦ - ١٩٩٦ وانظر كتاب الكعبة مركز العالم ص ١٤٨ - ٢٠٤ للدكتور سعد المرصفي مكتبة المنار الإسلامية ومؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

معجز: " بالوسط " وهي العدل والخيار وسمو المتزلة بما تحقق فيها من اشتغالها على جميع حقوق الإنسانية وحسن توازنها بين المادة والروح وتخلصها أو براءتها من إفراط هناك وتفريط هنا وغلو هناك وتقصير هنا (١).

والرسول ﷺ هو المثال الأكمل لمرتبة الوسط، وإنما تكون هذه الأمة وسطا باتباعها

له ﷺ في سيرته وشريعته.

فكان الله يقول: إنما يتحقق لكم وصف " الوسط " إذا حافظتم على العمل بهدي

الرسول ﷺ واستقمتم على سنته (٢)

(١) انظر تفسير أبي السعود ١ / ٢٠٤ دار الفكر.

(٢) انظر تفسير المنار ١ / ٤ - ٥.

## المبحث الثاني

### أسس الوسطية

الدعوة إلى الله تعالى مهمة الرسل والأنبياء عليهم السلام خيرة خلق الله من عباده، وسفراؤه إلى خلقه، ومهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين والدعاة المخلصين الصادقين.

لهذا كان لابد لهذه الدعوة الشاملة من دعاة أقوياء، وهداة أشداء، ومبلغين صابرين، يتناسبون مع عظمتها وشموها، قادرين على أن يمدوا أشعة ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم، فالدعوة من أفضل الأعمال وأسمى القربات وأجل الطاعات قال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين).

إن غاية الدعوة الخالدة هي هداية الناس إلى طريق الحق، وتحييهم في الخير وتنفيهم من الباطل والشرور، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهذا أهم ما يميز هذه الدعوة الخاتمة عن الدعوات الأخرى.

ولن يتم ذلك إلا عن طريق الدعوة بالوسطية.

هذه طريقة الإسلام في دعوته والتي عجز عنها أصحاب الديانات الأخرى وهذه هي الغاية الحقيقية من وراء دعوة الإسلام.

تلك الغاية تشفي الصدور وتحرق الرقاب، وتعلي القيم الإنسانية، وفي ظل هذه الغاية يمكن الانتفاع بالدعوة، ومن غيرها تصبح الدنيا لعنة يشقى بها العباد.

وأولى هذه الأسس: الاعتصام بكتاب الله عز وجل الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ﴾ (١).

وبالسنة النبوية: التي تعدل القرآن، عن المقدم بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه

(١) سورة فصلت ٤٢.

قال: ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه (١).

أولاً: الاعتصام بكتاب الله عز وجل

أراني أشعر بالعجز عند كتابة بعض الكلمات حول القرآن الكريم كأساس أول من أسس الدعوة بالوسطية.

فالأمر هنا ليس أمر خبرة وتجربة ومعرفة، لكنه بالدرجة الأولى يرجع إلى تفضل المعطي الوهاب سبحانه وتعالى ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢) هو الذي يفيض علينا بأنواره بلا حدود.

القرآن الكريم هو مصدر الدعوة الأول، وإليه ترجع كل القيم والموازين وقد حوى من حقائق النفس والحياة والغيب ما لا غنى عنه.

" فيه عجائب المخلوقات، وملكوت الأرض والسموات، وبدء الخلق ونهايتهم وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السابقة، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى (٣).

أورد الله سبحانه كل ذلك في أسلوب معجز قال تعالى ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٤) وقال ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٥).

(١) جزء من حديث صحيح أخرجه أبو داود ك السنة ب لزوم السنة ٦١٠/٢ ح ٦٤٠٤ وأخرج بنحوه ابن حبان في صحيحه ك الاعتصام بالسنة ١٨٩/١ ح ١٢ تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤط - وصححه شعيب الأرناؤط - والألباني في الصحيحة ٧١/٧.

(٢) سورة آل عمران ٧٤.

(٣) انظر الإتيان في علوم القرآن - السيوطي ٣٣٨ / ٢.

(٤) سورة هود الآية ١.

(٥) سورة الأنعام الآية ٣٨.

وأخبار القرآن هذه وعلومه ومواعظه ونواهيهِ وتوجيهاته وتشريعاته كلها حق وخير، وعدل ووسطية وحكمة، ورحمة ومصلحة، وهي لإسعاد البشر أفراداً وأماً وجماعات، ودولاً وشعوباً قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (١).

وهو بيان لكل شيء، ودستور الدعوة التي جاءت لخير الناس، عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَمَّتْكَ سَتْفَتُنْ مِنْ بَعْدِكَ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْ سُئِلَ مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: « الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَلى هَذَا الْأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالثُّورُ الْمُبِينُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فِيهِ خَبْرٌ مِّن قَبْلِكُمْ، وَنَبَأٌ مِّن بَعْدِكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَهُوَ الَّذِي سَمِعْتَهُ الْجَنُّ فَلَمْ تَنَاهَى أَنْ قَالُوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ لَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقُضِي عِبْرَتَهُ، وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ. ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ لِلْحَارِثِ: خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوُرُ (٢)

ولابد للدعاة إلى الله تعالى تمكيناً لخلافتهم وتيسيراً لضروراتهم ووفاءً بحقوقهم، ورعاية لشئونهم، وحماية لوحدتهم، وضبطاً لسلوكهم من استمداد دعوتهم من القرآن الكريم، لأنه وحده الذي أقام الخطوط الأساسية للحياة الإنسانية كما يريد الله سبحانه وتعالى كما بين الأهداف الضابطة للأخلاق النافعة للعمل لرد النفس إلى فطرتها وفق منهج يحفظ لكل من الروح والعقل والبدن حقه الكامل من غير تفريط ولا إفراط، وقد راعى

(١) سورة النساء الآية ١٧٤ .

(٢) سنن الدارمي ك فضائل القرآن ب خياركم من تعلم القرآن وعلمه ٢ / ٥٢٧ ح ٣٣٣٢ تحقيق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي - دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - قال حسين سليم أسد إسناده حسن

التسويق المحكم بين التكليف والطاقة بلا مشقة ولا إعنات (١).

والقرآن هو الحق والصدق والبرهان " حجته هادية كافية، لا يحتاج مع وضوحها إلى بينة تعدوها، أو حجة تتلوها (٢).

كما أن القرآن الكريم هو المعين الذي لا ينضب، والفيض الذي لا ينقطع حوى معارف حجة، وعلوماً غزيرة اهتم بها العلماء أيما اهتمام، وقيدوا في هذه المعارف وتلك العلوم ما فتح الله به عليهم.

لذا ينبغي على كل شاب أن يكون دائم التدبر لكتاب الله عز وجل، يتعامل مع الآيات القرآنية بعقله وقلبه.

وإذا نظرنا إلى أول سور القرآن الكريم سواء أول ما نزل، أو الأول حسب ترتيب المصحف، نجد الوسطية مبدأً واضحاً جلياً ظاهراً للعيان.

#### وقفه مع سورة الفاتحة

أجد خير بداية لبيان المنهج القرآني في تقرير الوسطية أن أقف مع أم الكتاب، حيث إنما من أولها إلى آخرها تقرّر هذه الحقيقة وتؤكددها.

وكما نعرف أن الفاتحة أول سورة حسب ترتيب المصحف، وهي دعوة صريحة

من أول آية فيها ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣)

وإذا جاز لي أن أقول ما لم أقرأه في كتب التفسير - فيما قرأت - فقد وصف الله نفسه بالرحمن الرحيم، وهذا مذهب وسط بين الإهمال والقسوة، فلا هو يترك عباده يفعلون كما يشاؤون من غير محاسبة، ولا هو يقسو عليهم فيحاسبهم حساباً شديداً لا

(١) انظر الدعوة الإسلامية ودعاها د / محمد طلعت أبو صير ص ٣٠٣ طبعة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(٢) انظر أحكام القرآن - الإمام الشافعي ١ / ١٨ تحقيق عبد الغني عبد الخالق دار الكتب العلمية بيروت

١٤٠٠ هـ .

(٣) البسلة آية من الفاتحة كما هو في المصاحف قليل ليست آية . انظر تفسير ابن كثير ١ / ١٦ .

رحمة فيه.

ومرة أخرى يذكرنا الله تعالى بمبدأ الوسطية الذي حرص عليه الإسلام منذ أول ساعة دعا الناس إليه في قوله تعالى ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (١)

وهذه الآية صريحة في تحديد المنهج الوسط، ذلك أنه يبين أن هذا الصراط هو صراط الذين أنعم الله عليهم.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن " الصراط المستقيم " هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. (٢) والذي لا اعوجاج فيه هو المعتدل، وقد ذكرت قبل ذلك من آراء المفسرين في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قالوا: الوسط من كل شيء أعدله والمعتدل الذي لا اعوجاج فيه، فالذي لا اعوجاج فيه هو الطريق الوسط، وهذا مبدأ دعت إليه أول سورة من سور القرآن بترتيب المصحف وجاء واضحاً جلياً فيها.

قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: قال وكيع: هم المسلمون (٣) وهم سط بين: غير المغضوب عليهم وَلَا الضَّالِّينَ: وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق، وهم: اليهود

(١) الآية ٦ ، ٧ من سورة الفاتحة .

(٢) انظر جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ١ / ٧٣ - ٧٤ تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير تحقيق سامي بن محمد سلامة ١ / ١٣٧ دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩

(٣) المرجع السابق ص ١٤٠

والنصارى (١).

وأهل الإيمان وهم المسلمون جمعوا بين العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم.

والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله فيهم: ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ (٢) وأخص أوصاف النصارى الضلال كما الله قال ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٣)

قال تعالى في سورة البقرة ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًا أَنْ يَزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (٤)

وقال في المائدة ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٥)

وبهذا جاءت الأحاديث والآثار: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَلْقَيْنَ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِوَادِي الْقُرَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِمِ أَمْرْتُ؟ قَالَ: أَمْرْتُ أَنْ

(١) انظر المرجع السابق ص ١٤٠

(٢) سورة المائدة الآية ٦٠

(٣) سورة المائدة الآية ٧٠

(٤) سورة البقرة الآية ٩٠

(٥) سورة المائدة الآية ٦٠

تَعْبُدُوا اللَّهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، يَعْنِي: الْيَهُودَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: الضَّالِّينَ، يَعْنِي: النَّصَارَى، قُلْتُ: فَلِمَنِ الْمَغْنَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَهْمٌ، وَلِهَؤُلَاءِ أَرْبَعَةٌ أَسْهُمٌ، قَالَ: قُلْتُ: فَهَلْ أَحَدٌ أَحَقُّ بِالْمَغْنَمِ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَ: لَا، حَتَّى السَّهْمُ يَأْخُذَهُ أَحَدُكُمْ مِنْ جُعْبَتِهِ فَلَيْسَ بِأَحَقَّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ<sup>(١)</sup>

وعن عدي بن حاتم أن رسول الله ﷺ قال: إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى<sup>(٢)</sup>

وكذلك قال الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد .

وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافًا.

وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون.

وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل؛ أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف، قالت له اليهود: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. فقال: أنا من غضب الله أفر.

وقالت له النصارى: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله فقال: لا أستطيعه، فاستمر على فطرته، وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين، ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى.

وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية؛ لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفل، حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي.

وقال السُّدِّي: عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن

(١) رواه أبو يعلى في مسنده ٦ / ٣٢٢ قال الهيثمي في المجمع ٢٣ / ١ إسناده صحيح

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه أحمد ٤٢ / ١٩٢ ح ١٩٩٠٦ والطبراني في الكبير ١٢ / ١٩ قال الهيثمي في المجمع رجاله رجال الصحيح غير عماد بن حبيش وهو ثقة ٣ / ٧٤

ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } هم اليهود { ولا الضالين } هم النصارى<sup>(١)</sup>.

فالمغضوب عليهم هم اليهود الذين فرطوا وقصروا، والضالون وهم النصارى الذين غلوا وأفرطوا وتشددوا حتى ابتدعوا، والصرَّاطُ المستقيم الذي هدى الله إليه النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين هو العملُ بالعلم في غير إفراطٍ ولا تفريط

وقد أنعم الله على أمة محمد ﷺ بالهداية إلى هذا الصِّراطِ المستقيم فكأنوا بذلك أمةً وسطاً، وفي ذلك يقول الإمام الطحاوي: ودينُ الله في الأرضِ والسَّماءِ واحد وهو دينُ الإسلام كما قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٣)</sup> وهو بينُ الغُلُوِّ والتَّقْصِي وَالْقَدَرِ .

وهم وسطٌ في شرائعِ دينِ الله، فلم يُحَرِّمُوا على الله أن يَسْخَ ما شاءَ وَيَمْحُو ما شاءَ، وَيُثَبِّت ما شاءَ كما قالته اليهود، ولا جَوَزُوا لأَكْبَرِ عُلَمَائِهِمْ وَعِبَادِهِمْ أَنْ يُغَيِّرُوا دِينَ اللَّهِ فَيَأْمُرُوا بِمَا شَاءُوا وَيَنْهَوْا عَمَّا شَاءُوا كما يفعله النصارى من خلال النص الذي وضعه في كتابهم الإنجيل " ما أحللتموه في الأرض فهو محلل في السماء ومل حرمته في الأرض فهو محرم في السماء فهم يقولون إننا خلفاء عن الله في أرضه.

وهم كذلك وسطٌ في بابِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْيَهُودَ وَصَفُوا اللَّهَ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ النَّاقِصَةِ، وَالنَّصَارَى وَصَفُوا الْمَخْلُوقَ بِصِفَاتِ الْخَالِقِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ علواً كبيراً.

(١) انظر تفسير بن كثير ١ / ١٤٠ ويستفاد أيضاً من ذلك أن من أراد الإجابة لدعائه فاليتني على الله أولاً

وهذه طريقة مستفادة من هذه السورة الكريمة وهذا أكمل أحوال السائل - أن يمدح مسؤله - ثم يسأل

حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة - ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩

(٣) سورة المائدة الآية ٣

فَالْوَسْطِيَّةُ : تعني اتباع الصراطِ المُستقيم والثبات عليه والحذر من الميلِ إلى أحدِ جانبيه، ولقد ضرب النبي ﷺ لذلك مثلاً محسوساً .

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَطَّ خَطًّا وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنِ يَمِينِهِ وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنِ يَسَارِهِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ فَقَالَ هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (١)

قال ابن القيم: وهذا الصراط المستقيم الذي وصانا باتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه وهو قصد السبيل وما خرج عنه فهو من السبل الخائرة وإن قاله من قاله (٢) .

إذن سورة الفاتحة تقرر مبدأ الوسطية بما دلت على أن المسلمين أمة وسط بين الأمم. فاليهود غالوا في تقديس الجسد ونسوا حق الروح ، والنصارى غالوا في تقديس الروح ونسوا حق الجسد، والمسلمون وسط بينهم أعطوا لكل حقه.

هذا بالنسبة إلى أول السور حسب ترتيب المصحف، أما بالنسبة إلى أول السور نزولاً فهي سورة العلق قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٣)

وقد تساءلت لماذا خص الله هذه المرحلة (مرحلة العلق وهي المرحلة الوسط من خلق الإنسان في بطن أمه) حيث قرر الله تعالى بأن مراحل خلق الإنسان ثلاثة، النطفة ثم العلق ثم المضغة كما في سورة الحج والمؤمنون.

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ١ / ١٣ ح ١١ وأحمد في المسند ١ / ٤٣٥ والدارمي في المقدمة باب في كراهة أخذ الرأي ح ١٣ وابن حبان ك الإحسان ١ / ١٨٠ ح ٦ والحاكم في المستدرک ٢ / ٣١٨ والحديث صححه ابن حبان والحاكم وحسن إسناده محقق الإحسان شعيب الأرنؤوط وقال الألباني في صحيح ابن ماجه ١ / ٧ (صحيح) والآية ١٥٣ من الأنعام .

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - ابن قيم الجوزية ١ / ١٢١ تحقيق محمد حامد الفقي - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٥ - ١٩٧٥

(٣) سورة العلق الآية ١ - ٢

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (١)

وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢)

وقال ﷺ: إِن أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ (٣)

قال أبو حيان: لم يذكر سبحانه مادة الأصل يعني آدم عليه السلام وهو التراب لأن خلقه من ذلك لم يكن متقررًا عند الكفار فذكر مادة الفرع وخلقها منها وترك مادة أصل الحلقة تقريباً لأفهامهم (٤)

وذكر الألويسي فقال: وقيل خص هذا الطور تذكيراً له عليه الصلاة والسلام لما وقع من شق الصدر قبل النبوة وإخراج العلق منه ليتهيأ هيئاً تاماً لما يكون له بعد فكأنه قيل

(١) سورة الحج الآية ٥

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٢ - ١٤

(٣) أخرجه البخاري ك بدء الخلق ب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ ١١ / ٣٥٢ ح ٣٣٠٨ ومسلم ك القدر ب كَيْفِيَّةِ الْخَلْقِ الْأَدْمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ١٧٠٠ / ١٤٩ ح ٦٨٩٣ من طريق عبد الله بن مسعود

(٤) البحر المحيط - أبو حيان ١٠ / ٥٠٠

الذي خلق الإنسان من جنس ما أخرجه من صدرك الشريف ليهيئك<sup>(١)</sup>

وهو على ما فيه لا يحسم مادة السؤال.

وإذا جاز لي أن أقول مرة أخرى ما لم أقرأه في كتب التفسير - فيما قرأت - لعل الله ذكر المرحلة الوسط في خلق للدلالة على الأمة الوسط وذلك بإشارة خفية من خلال أول ما نزل القرآن الكريم، وهذا أمر يحتمله النص

ثانياً: الاعتصام بالسنة النبوية المطهرة

السنة النبوية تأيد إلهي، وبيان رباني، ولذلك يجب علينا قبولها والعمل بها، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنه من المعلوم أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع والدستور الجامع لخيري الدنيا والآخرة، والسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم هي المصدر الثاني للتشريع، فهي شارحة القرآن، والمبينة له، والمفصلة لما أجمل، وفيها يتمثل التفسير النظري والتطبيق العملي لكتاب الله تعالى قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

حوت من جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وكنوز المعرفة، وأسرار الدين وحقائق الوجود، ومكارم الأخلاق، وروائع التشريع، وحوالد التوجيه ودقائق التربية، وشوامخ المواقف<sup>(٤)</sup> والمواعظ المؤثرة والأمثال المعيرة والقصص الهادفة، وألوان الأمر والنهي،

(١) روح المعاني - شهاب الدين محمود ابن عبد الله الألويسي ٢٣ / ٢٨

(٢) سورة آل عمران الآية ٣١ .

(٣) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٤) ثقافة الداعية - د/ يوسف القرضاوي ص ٤٤ - مكتبة وهبة - الطبعة العاشرة ١٤١٦هـ وانظر هذا

ديننا - محمد الغزالي ص ٢٠٩ دار القلم - دمشق ط أولى ١٤٢٠هـ

والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب ما يلين القلوب الجامدة، ويحرك العزائم الهامدة، وبنه العقول الغافلة<sup>(١)</sup> كي تتبع الهدى

ولعظم أهمية السنة نبه النبي ﷺ وحض على تبليغ ما يقوله فقال ﷺ: نضر<sup>(٢)</sup> الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه<sup>(٣)</sup>.

ورهب من تركها والإعراض عنها فقال ﷺ: فمن رغب عن سنتي فليس مني<sup>(٤)</sup>.

لذا رعى الصحابة رضي الله عنهم السنة حق رعايتها فحفظوها ووعوا ما في مكنونها وعملوا بها فكانوا أمناء على هذا العلم مؤمنين به ووطنوا أنفسهم لرعايته وصونه وبدلوا من أجله التليد والجديد لأنهم سعوا عن حب ومعرفة وصدق إيمان فتلقوا واتقنوا التلقي، وعملوا فأحسنوا العمل، ونقلوا فأخلصوا في النقل نقلوا أقواله ﷺ وأفعاله وحركاته وسكناته حتى البسمة والضحكة، والغضبة والزفرة.

ضبطوا كل أمره فحفظوا يقظته ونومته، وقعدته وقومته، ومأكله ومشربه وملبسه، قيدوا عنه كل شيء لعلمهم بشرف السنة وجلالها فإذا سمعت حديثاً كأنك تسمعه من " فيه " الشريف ﷺ وإذا نقلت عنه فعلة كأنك تراه ﷺ.

ولما كان للسنة النبوية المطهرة هذه الميزة السامية والمكانة العالية ولمسيس الحاجة

(١) انظر كيف تعامل مع السنة النبوية د/ يوسف القرضاوي ص ٦١-٦٥ مكتبة وهبة .

(٢) نضر قال الحافظ المنذري معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة والحسن فيكون تقديره جملة الله وزينه . الترغيب والترهيب ١ / ٦١ وانظر فضل الدعوة إلى الله تعالى د / فضل إلهي ص ٦٢ مؤسسة

الجريسي - الرياض ط أولى ١٤٢٠هـ

(٣) أخرجه الترمذي ك العلم ب الحث على تبليغ السماع ٥/٣٣ ح ٢٦٥٦ من طريق زيد بن ثابت . قال

أبو عيسى حسن صحيح

(٤) أخرجه البخاري ك النكاح ب الترغيب في النكاح ٩/٣٤٠ ح ٥٠٦٣ ومسلم ك النكاح ب استحباب

النكاح لمن اشتاقت نفسه إليه ٩ / ٩٦ ح ٣٤٦٩ من طريق أنس.

إليها للدعاة على وجه الخصوص، ولمسييس الحاجة إليها في هذا الباب أمرنا رسول الله بالتمسك بها والعض عليها بالنواجذ

عن العرباض بن سارية صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ لَنَا فَقَالَ « أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ (١) »

وقد تجلّت السنة النبوية المطهرة في بيان المذهب الوسط والأخذ به.

ومثال ذلك: قصة الثلاثة الذين سألوا عن عبادة الرسول ﷺ فلما علموا ذلك كأنهم تقالوا.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم أما أنا فأبى وأبى الليل أبداً، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأنفاكم له، لكتى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني (٢)

فَلَيْسَ مِنِّي: المراد ترك طريقته والأخذ بطريقة غيره ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية التي ابتدعها النصارى، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد قال تعالى: وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١) وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما أزموا به أنفسهم.

وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل.

كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلاً وترك التنفل يفضي إلى إثارة البطالة وعدم النشاط إلى العبادة وخير الأمور الوسط (٢)

وفي الحديث الحث على الاقتداء بالنبي ﷺ وذم الإفراط والتزهر عن المباح وهى النبي ﷺ عن الغلو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ إياكم والغلو في الدين فيما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين (٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ هلك المنتطعون قالها ثلاثاً (٤). وهى النبي ﷺ عن التشدد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: لا تُشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فنلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم (٥)

(١) سورة الحديد الآية ٢٧

(٢) انظر فتح الباري ١٤ / ٢٩٠

(٣) أخرجه ابن ماجه ك المناسك ب قدر حصي الرمي ٩ / ٢٦٠ ح ٣١٤٤ وأحمد ٧ / ٣٣١ قال الألباني في صحيح ابن ماجه ٢ / ١٧٧ صحيح

(٤) أخرجه مسلم ك العلم ب هلك المنتطعون ٤ / ٢٠٥٥ ح ٢٦٧٠

(٥) أخرجه أبو داود ك الأدب ب فى الحسد ١٤ / ٢٠٣ ح ٤٩٠٦ وأبو يعلى فى مسنده ٨ / ٢٢١ ح ٣٥٥٥ وقال الهيثمي فى مجمع الزوائد ٦ / ٢٧٧ رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي-

(١) أخرجه أبو داود ك السنة ب فى لزوم السنة ٢١ / ٣٢٧ ح ٤٦٠٩ والترمذي ك العلم ب ما جاء فى الأخذ بالسنة واحتجاب البدع ١٠ / ١٩٤ ح ٢٨٩١ وابن ماجه فى المقدمة ب اتباع سنة الخلفاء المهديين ١ / ٥٢ ح ٤٥

(٢) أخرجه البخاري ك النكاح ب الترغيب فى النكاح ٨٤ / ٥٠٦٢ ومسلم ك النكاح ب استحباب النكاح لمن نأقت نفسه إليه ووحد مؤتة ٩ / ٩٤ ح ٣٤٦٩

والذي يُمَعِنُ النَّظْرَ فِي هَذِهِ النَّصُوصِ وَمَا يَمِثُلُهَا وَهِيَ كَثِيرَةٌ فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ يَرَى أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى دَعْوَةِ السَّنَةِ إِلَى الْوَسْطِيَّةِ.

ثالثاً: فقه النص

إن من أسس الوسطية فقه النص كي لا يقع إفراط أو تفريط، ولقد وقعت أول واقعة من عدم فقه النص في عهد النبي ﷺ في بيت النبوة ولم يقع من وراء ذلك إفراط أو تفريط، لأنه كان إخباراً من النبي ﷺ فحسب.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لِحُوقًا قَالَ أَطُولُكُمْ يَدًا فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةً أَطْوَلَهُنَّ يَدًا، فَعَلِمْنَا بَعْدَ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةَ، وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لِحُوقًا بِهِ وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ (١).

معنى الحديث: أفهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية وهي الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبه، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يدا في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود (٢)، كَانَتْ تَدْبِغُ وَتَخْرُزُ وَتَتَصَدَّقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٣).

قال أهل اللغة: يقال: فلان طويل اليد، وطويل الباع، إذا كان سمحاً جواداً،

العمياء وهو ثقة قال الحافظ ابن حجر في التقریب ص ٢٣٨ مقبول وقال أيضاً في تهذيب التهذيب ٢ / ٣٢٠ ذكره ابن حبان في الثقات وروى له أبو داود حديثاً واحداً وذكر هذا الحديث . وضعف هذا الحديث الألباني كما صحيح وضعيف أبي داود ١٠ / ٤٠٤ ح ٤٩٠٤ والأقرب أنه حسن هذا الإسناد . والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري ك الزكاة ب حدثنا موسى بن إسماعيل ٥ / ٣٣٩ ح ١٤٢٠ ومسلم ك فضائل الصحابة ب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها ١٦ / ١٢٩ ح ٦٤٧٠

(٢) شرح النووي على مسلم ٨ / ٢٠٧

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥ / ١٤

وضده قصير اليد والباع، وجد الأنامل. وفيه معجزة باهرة لرسول الله ﷺ ومنقبة ظاهرة لزينب (١)

ومن ذلك ما وقع من بعضهم عند سماع هي النبي عن الخلق يوم الجمعة (٢) فمكث لم يخلق رأسه يوم الجمعة أربعين سنة كاملة، لأنه لم يفهم الفرق بين الخلق (٣) والخلق (٤)

والحقيقة التي لا مرأى فيها: أن عدم فقه النص هو الذي أخرج الأمة وفرقها إلى فرق وجماعات، وجر عليها الآمها، وشمث فيها أعداءها.

نشأة الفرق وأنواعها:

كان الناس في عهد النبي ﷺ إذا شغلهم أمر فرعوا إلى رسول الله ﷺ فيتل فيهم قرآن يهديهم إلى الحق ويحسم الخلاف ويفض النزاع، أو كان يقضي بينهم رسول الله ﷺ بما أتاه الله من الحكمة وفصل الخطاب.

وعلى الإجمال لا نجد من الصحابة أحداً شغل نفسه بما لا يلزمه في سلوكه وعمله

(١) شرح النووي على مسلم ٨ / ٢٠٧

(٢) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال نهى رسول الله ﷺ عن الشراء والبيع في المنسجد وأن تُشَدَّ فيه الأشعار وأن تُشَدَّ فيه الضلالة وعن الخلق يوم الجمعة قبل الصلاة . مسند الإمام أحمد ١٤ / ٢٦٥ ح

٦٨٣٦

(٣) الخلق بفتح الحاء وسكون اللام من خلق الشعر

(٤) الخلق بكسر الحاء وفتح اللام جمع الخلقة مثل قسعة وقصع وهي الجماعة من الناس مستديرون كخلقة الباب وغيره . والتخلق تفعل منها وهو أن يتعمدوا ذلك ، وقال الجوهرى جمع الخلقة وخلق بفتح الحاء على غير قياس وحكى عن أبي عمرو أن الواحد خلقة بالتحريك والجمع خلق بالفتح ، وقال ثعلب كلهم يُجيزه على ضعفه ، وقال الشيباني ليس في الكلام خلقة بالتحريك إلا جمع حائق ( للذي يخلق الشعر ) . النهاية في غريب الأثر - ابن الأثير تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ١ / ١٠٣٢ المكتبة

العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م



وفي أوائل القرن الثاني ظهرت دعوة " جهم بن صفوان " بالجزيرية (١) ثم خرجت المعتزلة (٢) بقيادة " واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد " تقول بالاختيار المطلق للإنسان وإن

وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وتنصب الإمامة بنصبهم ، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز لرسول الله عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله والشيعة فرق خمسة : كيسانية ، وزيدية ، وإمامية وغلاة وإسماعيلية ونشأوا من قتال علي ومعاوية رضي الله عنهما . انظر : الملل والنحل - الإمام الشهرستاني ١ / ١٤٥ وانظر مقدمة ابن خلدون ص ١٩٦ ومقالات الإسلاميين ص ٥ والخلاف بين الشيعة وأهل السنة د/عمر الفرماوى ص ١٥ ، ١٦ ، والشيعة الإثناعشرية ومنهجهم في التفسير د/ محمد العسال ص ١٩-٢٣ دكتوراه بكلية أصول الدين القاهرة

(١) الجبر : هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ، والجزيرية أصناف : فالجزيرية الخالصة : هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ، والجزيرية المتوسطة : هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً ؛ يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة

(٢) هم : فرقة نشأت من مجلس الإمام الحسن البصري ، وكان " أبو حذيفة واصل بن عطاء " يجلس إلى الحسن ويتلمذ عليه ، فحرى يوماً ذكر مسألة مرتكب الكبيرة وذلك عندما جاء رجل وسأل الحسن عن حكم مرتكب الكبيرة فقال واصل : أنا أقول بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل في ناحية المسجد ، وانضم إليه عمرو بن عبيد وجماعة فليل لهما ولأتباعهما المعتزلون أو المعتزلة وكان ذلك في أوائل المائة الثانية

والمعتزلة فرق كثيرة أوصلها الشهرستاني في " الملل والنحل " إلى اثني عشرة فرقة ، والبغدادي " في الفرق " إلى عشرين فرقة ولكل فرقة آراء تختص بها إلا أنهم اتفقوا على : نفي القدر ، ونفي الصفات ، وإنفاذ الوعيد ، والموتلة بين المتزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضمّنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال . والمعتزلة أصحاب المنهج العقلي وقد استعانوا بالفلسفة اليونانية واستفادوا منها في تكوين مذهبهم والزود عنه ، فكانوا أصحاب منهج عقلي منطقي يكاد يقدم على النص ويعمل بالتأويل إذا خالف النص مقتضى المعقول ، حتى أنهم قالوا بالعقل والرأي في مسائل فتعارضوا مع صريح النص لأن القرآن والحديث عندهم بمزلة الشهود الزائدين على النصاب .

ومن أسماء المعتزلة القدريّة ، والقدريّة هم الذين خاضوا في القدر ذهبوا إلى إنكاره ، فهم يرون أن العباد يفعلون ما لا يريد الله تعالى وما لم يقدره من أفعال الشر مثل : القتل والزنا وغير ذلك وذلك ضرب من الشرك كالجحوسية ، ويقال أول من تلکم به رجل من نصارى العراق يقال له سوسن كان نصرانياً ثم-

مرتكب الكبيرة في موتلة بين المتزلين أي أن من خرج من الدنيا من غير توبة استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار .

ولقد استغل الأعداء جمع الحقدة والحسدة فنفخوا في النار فأوقدوها فاشتعلت في الأمة وأهدرت دمه وحققها ، وإن الخلاف الأصلي الذي فجر القضايا هو خلاف " علي ومعاوية رضي الله عنهما ولا يحق لنا أن نقول من الحق ومن سوى ذلك ، ولكن نقول ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) إلا أن الخلاف دب ونشأ وقوى من هذا الاختلاف فنشأ دعاة القدر ثم دعاة الجبر والشيعة الذين كفروا أكابر الصحابة رضوان الله عليهم وهكذا تناقضت الآراء واختلفت الأقوال من وراء عدم فقه النص

وأكبر قضية وقعت في تاريخ الإسلام على هذا النحو ، هي قضية عدم فقه النص في حقيقة الإيمان أو العقيدة .

والحقيقة أن أبسط تعريف للعقيدة : هو الشهادة أو الاعتراف بالإيمان ، وقد كان الإيمان مصاغاً بدقة في حياة النبي ﷺ ولكن تطور مفهومه وتعقيده بسبب عدم فقه النص ، وبدافع مجي خلافة علي وظهور الخوارج والشيعة كأحزاب سياسية دينية متميزة فواحدة

أسلم ثم تنصر فأخذ عنه ذلك معبد الجهني وعن معبد أخذ غيلان بن مسلم الدمشقي . انظر : الملل والنحل ١ / ٤٢ - ٤٥ . والفرق بين الفرق - البغدادي تحقيق محي الدين عبد الحميد ص ٤٠ ، ٤١ دار التراث انظر : مقالات الإسلاميين - الأشعري ١ / ٣٢٥ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين - الفخر الرازي ص ٢٣ مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨ والتنبيه على أهل الأهواء والبدع للإمام أبي الحسن محمد بن أحمد المطي ص ٣٦ بغداد الطبعة الثانية ١٩٦٨ والقضايا الدخيلة على الفرق الإسلامية د/ مبارك حسن إسماعيل ص ٦ ط ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م وشرح الطحاوية - أبو العز الحنفي ص ٤٤٩ . مسلم بشرح النووي ١٢٧ / ١ - ١٢٩ والملل والنحل - الشهرستاني ١ / ٤٢ وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٨٥ .

تقول بالعدل طبقاً للكتاب وهو المبدأ الأسمى، بينما الأخرى تتطلع إلى قيادة من بيت محمد ﷺ على الأقل<sup>(١)</sup>.

وقد كان الدين والسياسة في البداية متصلان لا يمكن انفصالهما بحال، ثم انفصلا وتعددت الفرق واتسعت هوة الخلاف.

هذه الفرق وتلك الطوائف اختلفت في الآراء والمقاصد بسبب عدم فقه النص<sup>(٢)</sup> حتى كونت عقائد مختلفة وآراء متباينة، وعلى سبيل المثال كانت مقصورة الخوارج الذين قضاوا اعتبار المسلمين الذين يرتكبون الكبائر كفاراً تتعارض مع شمولية المرجئة الذين قالوا: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وأن حكم صاحب الكبيرة مرجأ إلى يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.

وأما أهل السنة والجماعة فوسط في كل باب: وسط في سائر أبواب الحياة ووسطيتهم فيها راجعة لفهمهم وفقههم الصحيح للنصوص.

وسط بين الرافضة التي يغالون في على فيجعلونه معصوماً أو نبياً أو إلهاً وبين الخوارج

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية - مركز الشارقة ٧٣٤٨/٢٣.

(٢) من ذلك: حيث أن بعضهم لم يفهم معنى "لا إله إلا الله"

ففهمت المرجئة أنها وحدها كافية في دخول صاحبها الجنة حاجبة صاحبها عن النار مهما ارتكب من الكبائر والخوارج والمعتزلة أن صاحب الكبيرة إذا مات عن غير توبة يخلد في النار، أما أهل السنة وهم أصحاب الفهم الصحيح والمذهب الوسط: أن صاحبها لا يمنع من دخول الجنة ولا يترك من غير عقاب ففي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال «إن زنى وإن سرق». قلت وإن زنى وإن سرق قال «إن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال وإن رغم أنف أبي ذر.

ومعنى هذا الحديث: أن الزنى والسرق لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، وليس فيه أنه لا يعذب عليهما مع التوحيد. راجع فتح الباري الفتح ١٩ / ١٨٠ ح (٦٢٧٤).

(٣) انظر الملل والنحل - الإمام الشهرستاني ١ / ١٣٨.

الذين يكفرونه.

وهم وسط في الوعيد بين الوعيدية من الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة الذين لا يجزمون بتعذيب أحد من فساق الأمة.

وهم في القدر وسط بين النفاة للقدر من المعتزلة وغيرهم وبين الجهمية المثبتة الذين ينكرون حكمة الله في خلقه وأمره.

وهم في الصفات وسط بين المعطلة الذين ينفون صفات الله أو بعضها ويشبهونه بالجماد والمعدوم وبين المثلة الذين يمثلون صفاته بصفات خلقه فيصفون الله بصفات خلقه فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تحريف<sup>(١)</sup>

(١) الصفدية - ابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ٢ / ٢١٣ الطبعة الثانية ١٤٠٦.

### المبحث الثالث

#### سبل تحقيق الوسطية

إن الإسلام هو الدين العظيم، كفل للبشرية النجاة والرفعة في الدنيا والآخرة إذا فقهوه وطبقوا شريعته وأحلوا حلاله وحرّموا حرامه لأنه منزل من خالق الإنسان، والصانع أدرى ما يكون بصنعه فما بال الخالق بخلقه

والإنسان لم يخلقه الله تعالى مكوناً من جسم وعقل فحسب بل إن له قلباً يخفق وروحاً تهفو ونفساً تحس وأشواق عليها تدفعه إلى السمو فهو في سبيل ذلك يسلك الطرق الموصلة وقد يهتدي إلى الطريق الصواب، وقد لا يهتدي فيضل وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.

ولا يمكن للشباب أن يحقق سبل الوسطية إلا بسبل ثلاثة:

أولاً: معرفة الإفراط

#### الإفراط

لغة هو: التقدّم ومجازة الحدّ.

جاء في لسان العرب: وأمر فُرط، أي: مجاوز فيه الحدّ.

والفُرطة بالضم: اسم للخروج والتقدّم، ومنه قول أم سلمة لعائشة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك عن الفُرطة في البلاد، وفي حديث أيضاً لأم سلمة قالت لعائشة رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: هناك عن الفُرطة في الدين، يعني السبق والتقدّم ومجازة الحدّ.

والإفراط: الإعمال والتقدّم، وأفرط في الأمر: أسرف وتقدّم.

وكل شيء جاوز قدره فهو مفراط (١).

(١) لسان العرب: ابن منظور ٧ / ٣٦٦.

وقال ابن فارس: فرط الفاء والراء والطاء أصلٌ صحيح يدلُّ على إزالة شيءٍ من مكانه وتنحيته عنه. قال:

فلعلُّ بَطْأُكُما يفرطُ سيّئاً... أو يسبق الإسراعُ خيراً مُقبِلاً

ويقال أفرط، إذا تجاوزَ الحدَّ في الأمر. يقولون: إياك والفرط، أي لا تجاوزِ القدر. وهذا هو القياس، لأنَّه إذا جاوزَ القدرَ فقد أزال الشيءَ عن جهته (١).

وقال الجوهري: وأفرط في الأمر: أي: جاوز فيه الحدَّ (٢).

قال الطبري: وأما الإفراط فهو الإسراف والإشطاط والتعدّي، يقال منه، أفرطت في قولك، إذا أسرف فيه وتعدّيت (٣).

ونخلص ممّا سبق أن معنى الإفراط: تجاوز الحدّ، والتقدّم عن القدر المطلوب

#### الألفاظ ذات الصلة بالإفراط

هناك بعض الألفاظ لها صلة بالإفراط منها:

#### ١ - الغلو

الغلو لغة: تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى واحد يدل على مجاوزة الحد والقدر وقد عرفه أهل اللغة بذلك، فجاء في لسان العرب: وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً: جاوز حدّه، وفي التتريل: { لَأَتَّغُلُوا فِي دِينِكُمْ } (٤)

وقال بعضهم: غلوت في الأمر غلواً وغلانية وغلانياً إذا جاوزت فيه الحدّ

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه: إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم

(١) معجم مقاييس اللغة معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون ٤

/ ٤٩٠ دار الفكر طبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

(٢) الصحاح في اللغة: الجوهري ٢ / ٤٠.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٦ / ١٧٠.

(٤) سورة النساء من الآية ١٧١.

بالغلو في الدين<sup>(١)</sup>.

أي: التشدد فيه ومجاوزه الحد، وغلا السهم نفسه: ارتفع في ذهابه وجاوز المدى، وكله من الارتفاع والتجاوز.

ويقال للشيء إذا ارتفع: قد غلا، وغلا التبت: ارتفع وعظم<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن فارس: غلّو: الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزه قدر، يُقال: غلا السعّر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلواً، إذا جاوز حدّه، وغلا بسهمه غلواً إذا رمى به سهماً أقصى غايته<sup>(٣)</sup>.

وقال الجوهري: غلا في الأمر يغلو غلواً، أي جاوز فيه الحد. وغلا السعر غلاءً. وأغلى الله السعر. وغلّوتُ بالسهم غلواً، إذا رميت به أبعد ما تقدر عليه. والغلوة: الغاية مقدار رمية. وغلى باللحم، أي اشتراه بثمن غال. ويقال أيضاً: أغلى باللحم. وقال: كأنها درة أغلى التجار بها.

والاغتيال: الإسراع. وتغلى لحم الناقة، أي ارتفع وزهد والغلواء: الغلو. والغلواء أيضاً: سرعة الشباب وأوله<sup>(٤)</sup>.

وقال الفيومي في المصباح المنير: وغلا في الدين غلوا من باب قعد: تصلب وتشدد حتى جاوز الحد، وفي التزليل: { لا تغلوا في دينكم } وغلى في أمره مغالاة: بالغ، وغلّا السعّر يغلو ارتفع، ويُقال للشيء إذا زاد وارتفع قد غلّا<sup>(٥)</sup>.

مما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعماله يدل على الارتفاع والزيادة ومجاوزه

الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد

الغلو في الشرع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الغلو: مجاوزة الحد بأن يزداد الشيء في حمده

أو ذمه، على ما يستحقه ونحو ذلك<sup>(١)</sup>

وعرف الحافظ ابن حجر الغلو بأنه " المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"<sup>(٢)</sup>.

وهذه التعاريف كلها متقاربة، وتفيد أن الغلو هو: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة،

والحدود: هي النهايات لما يجوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به "<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد في القرآن الكريم آيتان فيهما التّهي عن الغلو بلفظه الصريح قال تعالى: {

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ }<sup>(٤)</sup>

قال الطبري: يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفطروا فيه.

وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حدّه الذي هو حدّه، يقال منه في الدين: قد غلا

فهو يغلو غلواً<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن كثير: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى،

فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المترلة التي أعطاها الله إياها، فنقلوه من حيز

التبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل غلوا في أتباعه وأشياعه،

ممن زعم أنه على دينه، فادّعوا فيهم العصمة، وأتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٢٥٣ دار عالم الكتب

بيروت الطبعة السابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٢) فتح الباري ١٣ / ٢٧٨ .

(٣) الفتاوى - ابن تيمية ج ٣ ، ص ٣٦٢

(٤) سورة النساء الآية ١٧١

(٥) انظر تفسير الطبري ٦ / ٣٤ .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح ١٨٥١ وصححه الحاكم ١ / ٤٦٦

(٢) انظر: لسان العرب ١٥ / ١٢١

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٨٧ .

(٤) انظر: الصحاح ٢ / ٢٤ .

(٥) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - الفيومي ٧ / ٧١

أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا، ولهذا قال - تعالى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>

أما الآية الثانية فجاءت في سورة المائدة قال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ <sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير: أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تُطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلهًا من دون الله وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضل قديما <sup>(٣)</sup>

٢ - التطرف: يقال تطرفت الشمس دنت للغروب ومنه تنحى وفي كذا جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط، ومن قولهم للشمس إذا دنت للغروب تطرفت <sup>(٤)</sup>

ومن تجاوز حد الاعتدال وغلا يصح لغويا تسميته بالتطرف  
٣ - التشدد: تشدد في الأمر بالغ فيه <sup>(٥)</sup> وهو دال على القوة والصلابة " وفلان شديد ومتشدد: بخيل، وفيه شدة وتشدد. وأنا شدة النهار وشد الضحى وهو ارتفاعه في الشيء <sup>(٦)</sup>، والمشادة في الشيء التشدد فيه

٤ - التنطع: التَّنَطَّعُونَ: هم الْمُتَعَمِّقُونَ الْمُغَالُونَ فِي الْكَلَامِ الْمُتَكَلِّمُونَ بِأَقْصَى حُلُوقِهِمْ.

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٧٧ والآية ٣١ من سورة التوبة

(٢) سورة المائدة الآية ٧٧

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٩ وانظر الوسطية في ضوء القرآن الكريم - ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠ وما بعدها

(٤) المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون تحقيق / مجمع اللغة العربية - القاهرة ٢ / ١١

(٥) المرجع السابق ١ / ٩٨٧

(٦) أساس البلاغة للزمخشري ١ / ٢٣٨

ماخوذ من النَّطَع وهو الغارُّ الأعلى من الفم ثم استُعْمِلَ في كل تَعَمَّقُ قولاً وفعلاً <sup>(١)</sup> وبالنظر إلى هذه الألفاظ تجد تقاربا بينها وبين الإفراط، فهي بمثابة أوصاف ومظاهر

له. ولكنها ما عدا التطرف قد وردت في النصوص الشرعية

### الفرق بين التمسك بالنصوص الشرعية والالتزام بها والغلو

في الواقع لا تلازم بين التمسك بالنصوص والغلو؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس تمسكا والتزاما لنصوص الشريعة مطلقا ومع هذا لم يحصل لهم إفراط أو غلو أو تشديد إلا في قضايا عينية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها <sup>(٢)</sup> وعلمهم وبين لهم طريق العبادة المعتدل فانتهوا.

وسببه هو موافقة هذا الالتزام منهم رضي الله عنهم لعلم صحيح، وفهم سليم وهمة حريصة على العلم والبصيرة، فنجوا من الغلو فضلا عن الاستمرارية فيه لكن لما عد الناس عن زمان الأفاضل، وصار الدين غريبا، وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، صار التمسك بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم العاض عليها بنواجذه منبوذا مستهزا به في تلك المجتمعات، وأطلقوا عليه عبارات النبز كالمترمتين والغالين والمتطرفين والأصويين ونحوها من الألقاب التي روجتها بعض وسائل الإعلام.

والواقع أن التمسك بنصوص الكتاب والسنة، وفهمها فهما صحيحا، يعتبر عند هؤلاء المتهاونين بأحكام الشريعة الغافلين عنها، غلوا وتطرفا وذلك بالنظر إلى ما هم عليه من تفريط ظاهر، وقصور في التزام منهج الالتزام، جلي ملموس.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير ٥ / ١٦٤

(٢) كحديث مُطَرَّفٍ قال قال أبي انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله تبارك وتعالى قلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فقال قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستحرجنكم الشيطان . أخرجه أبو داود ح ٤٨٠٨ بإسناد جيد

والملاحظ أن المتمسكين بمدلولات النصوص الشرعية يكونون غلاة متشددين بنسبتهم إلى المفرطين الذين يحملون الإسلام وصفاً، وعند نسبتهم إلى ميزان الشريعة لم نجد عندهم معنى التمسك المطلوب، وهو الالتزام بأحكام الكتاب والسنة.

فالمقصرون يلمزون المتمسكين بالغلو والتطرف على أن ما هم عليه هو اعتدال الإسلام وتوسطه، وما أظهوره هو الاعتدال، وهو في الحقيقة ليس كذلك إذ هو التقصير والتفريط في بعض شعائر الإسلام وأحكامه، ولا يخفى أن من يتهم البعض بالتطرف أو الغلو، غايته التنفير والتحذير منهم وليس لكونهم متجاوزين لحدود الشريعة ووسطية الإسلام كمن اتهم دعوة الشيخ السلفية الإصلاحية بذلك.

أعني أن هذه الدعاوى ليست من باب الأسماء والأحكام، أو لتبين معاني شرعية - بقدر ما هي لأغراض وأهواء ذاتية أو محدودة. فتكون بذلك من تحميل مصطلحات الشارع ما لا تحمل، ومن استعماله المعاني الشرعية في الأغراض الشخصية الضيقة والغايات السياسية المحدودة<sup>(١)</sup>

والذي يعيننا في هذا المبحث أن كلا من الإفراط والغلو وغيرهما من الألفاظ خروج عن "الوسطية" فكل أمر استحق وصف (الغلو) أو (الإفراط) أو غيرهما من الألفاظ فليس من الوسطية في شيء

ثانياً: معرفة التفريط

التفريط هو التواني، يُقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات، إذا تواني فيه.

والتفريط هو تقديم العجز

وقال الزجاج: { وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا }<sup>(٢)</sup> أي كان أمره التفريط وهو تقديم العجز.

وفرط في الأمر يُفَرِّط فرطاً، أي: قصر فيه وضيعه حتى فات، وكذلك التفريط<sup>(١)</sup>. وقال ابن فارس: وكذلك التفريط، وهو التَّقْصِير، لأنه إذا قصر فيه فقد تعد به عن رتبته التي هي له<sup>(٢)</sup>.

وقال الجوهري: فرط في الأمر قصر فيه وضيعه حتى فات، وكذلك التفريط ومنه قوله تعالى { وَأَنَّهُمْ مَفْرُطُونَ } أي متروكون في النار أي منسيون<sup>(٣)</sup> وقد وردت مادة (فرط) في القرآن في عدة مواضع قال تعالى: { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا }<sup>(٤)</sup>

قال البغوي: فرطنا: أي قصرنا، وقيل: تركنا في الدنيا من عمل الآخرة<sup>(٥)</sup>. وقال الألويسي فرطنا أي على تفريطنا، فما مصدرية فالتفريط التقصير فيما قدر على فعله، وقال أبو عبيدة: معناه التضييع<sup>(٦)</sup>

وقال الرازي: فرطنا أي تركنا وضيعنا<sup>(٧)</sup>.

وقال تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ }<sup>(٨)</sup>

وفي سورة يوسف: { وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ }<sup>(٩)</sup>

(١) لسان العرب ٧ / ٣٦٦

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٤٩٠.

(٣) انظر: الصحاح ص ٥١٧

(٤) سورة الأنعام: من الآية ٣١.

(٥) معالم التنزيل: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٦ هـ - حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون ٣ / ١٣٨ دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

(٦) روح المعاني ٥ / ٢٩٠.

(٧) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد الرازي ٦ / ٢٦٣

(٨) سورة الأنعام الآية ٦١

(١) بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو - مجموعة من العلماء ٢١٠ - ٢١٢

(٢) سورة الكهف من الآية ٢٨.

والحاصل أن كلمة التفريط في القرآن تدور حول التضييع والترك والتقصير ولا شك أن هذا مخالف لمنهج الوسطية الذي لا تضييع فيه ولا تقصير ولا ترك

ثالثاً: معرفة منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة ولزوم طريق المسلمين من سلف وخلف وتابعين

إن علامة الفرقة الناجية، هي متابعة رسول الله ﷺ وطريق المسلمين من صحابته رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين (٢).

ومن مقتضى الإيمان برسول الله ﷺ متابعتة وطاعته فيما أمر واجتناب ما عنه نهي وزجر، والاستمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، كما قال عليه الصلاة والسلام في موعظته البليغة لأصحابه، التي أوصاهم فيها بالسمع والطاعة، وأخبرهم بأنه من يعيش منهم فسيرى اختلافاً كثيراً، وأن العاصم من الفتن والمرجع عند الاختلاف، هو العمل بسنته وسنة خلفائه الراشدين: "أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبِشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" (٣).

وقال الله تعالى في هذا المعنى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (٤).

(١) سورة يوسف الآية ٨٠

(٢) الأمة الوسط والمنهج النبوي في الدعوة إلى الله: عبد الله بن عبد المحسن التركي ص ٥٧

(٣) جزء من حديث أخرجه أبو داود ك السنة ب في لزوم السنة ٢١ / ٣٢٧ ح ٤٦٠٩ والترمذي ك العلم

ب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ١٠ ١٩٤ ح ٢٨٩١ من طريق العريضا بن سارية

(٤) سورة النساء الآية ٥٩

" هو أمر بطاعة الرسول، والأمر للوجوب ونظم الدليل هكذا: طاعة الرسول مأمور بها، وكل مأمور به واجب، فطاعة الرسول واجبة ثم إن طاعته تكون بامتنال أمره، أو اجتناب نهي فأمره ونهي واجبا الامتنال (١).

وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} (٢)

" يُحْتَجُّ بِهِ عَلَى وَجوب متابعة النبي ﷺ قولاً وفعلاً وأهما منه للوجوب لأنه جعل متابعتة لازماً لمحبة الله عز وجل، لأننا نفرضها مقدمة استثنائية هكذا: لو أحب زيد الله لاتبع رسوله، فقد وقع اتباع الرسول ﷺ تالياً وهو اللازم ومحبة الله عز وجل واجبة، ولازم الواجب واجب فاتباع النبي ﷺ واجب، ثم اتباعه تارة يكون بامتنال أمره واجتناب نهي، وتارة بموافقته في فعل مثل فعله وترك مثل ما ترك، لأجل أنه فعل وترك وذلك أن أمره وفعله يقتضيان الوجوب (٣).

وهكذا: إذا أراد أي مسلم النجاة، وعلى وجه الخصوص العالم والداعية، فلا بد أن يتوافر في عمله أمران: إخلاص العمل لله وحده ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وصحبه الكرام، وسلف الأمة الصالح، وبهذا يكون من الفرقة الناجية المعتصمة بالكتاب والسنة.

(١) الإشارات الإلهية إلى المباحث الإلهية - نجم الدين الطوفي تحقيق أبو عاصم حسن بن قطب ٣٩٤/١ مكتبة

الفاروق الحديثة - الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣١ .

(٣) الإشارات الإلهية ٣٩٣/١ ، ٣٩٤ .

## المبحث الرابع

### الآثار المترتبة على تحقيق الوسطية لدى الشباب

إن منهج الوسط هو جبل النجاة وسفينة الإنقاذ اليوم لأمتنا من التيه والضياح وإن معظم قضاياها الفكرية والعملية الكبرى تضيع بين طرفين متباعدين، طرف الغلو أو التطرف أو التشدد والانحراف منه ماتسميه، المهم هو الطرف الذي يرهق الأمة ويوقعها في الحرج ويضيق عليها ما وسعه الله عليها، والطرف الآخر طرف التسيب والتفريط فلا يكاد يثبت على عقيدة، أو يتمسك بفرضة والدين عجيبة لينة في يده يشكلها كيفما يشاء ووقت ما يشاء<sup>(١)</sup>

إن وسطية الإسلام ليست خصيصة مميزة فحسب " بل هي من أعظم حقوق الأمة الإسلامية التي سماها الله أمة وسطاء، والتي يجب الدفاع عنها كلما حدث في المجتمع الإسلامي أي انحراف عنها فكرياً أو سلوكياً ويجب على الأمة الدفاع عن وسطيتها ضد أي غلو أو تطرف<sup>(٢)</sup>.

إن الإسلام هو الدين العظيم، كفل للبشرية النجاة والرفعة في الدنيا والآخرة إذا فقهوه وطبقوا شريعته، وأحلوا حلاله وحرّموا حرامه من إفراط أو تفريط لأنه منزل من خالق الإنسان، وكل صانع أدري ما يكون بصنعبته فما بال الخالق سبحانه يخلقه الذي أنزل الدين الوسط ورضيه لهم.

وهنا يأتي دور التربية الوسطية للشباب وهي تبني المسلم الحق وتعبده كي يكون عضواً نافعاً في مجتمعه لا إفراط ولا تفريط.

ويجب معرفة أن الشاب " ليس مكوناً من جسم وعقل فحسب بل إن له قلباً يخفق

(١) الوسطية ودور الإعلام في إبرازها د. يوسف القرضاوي ص ٣٠ .

(٢) انظر أصول المجتمع الإسلامي د. جمال الدين محمد محمود ص ١٨٣ .

وروحاً تهفو ونفساً تحس وأشواق عليها تدفعه إلى السمو<sup>(١)</sup>

ومن أخطر المشكلات التي تواجه الدعوة من بعض القائمين بهذه الشعيرة هي عدم الفهم الحقيقي لهذا الأمر، فتجد من يغفل عن هذا الأمر؛ بل يشنط بعضهم فيتجاوزوه إلى أمور خطيرة لا تصدر عن رزقه الله علماً وبصيرة؛ فيرمي أخاه بالكفر، ويخرجه من الملة لأجل معصية لا توجب ذلك وأجوا دماءهم وواستحلوا أموالهم دون دليل شرعي صحيح<sup>(٢)</sup>

وحتى لا يقع الشاب ضحية لتلك الجماعات التي تستند إلى مثل هذا الفهم القاصر لذلك المعنى، وتضر بالمسلمين وغيرهم اعتقاداً منهم أن ذلك هو طريق الصواب وتكون المرجعية عند من يعتقدون بأن لديهم القدرة على الفتوى الشرعية، يجب أن يبرز دور التربية الوسطية التي توضح للأبناء نهج القرآن الكريم والسنة النبوية التي تعتمد في أساليب الدعوة على الحكمة والموعظة الحسنة ومخاطبة الناس بالأسلوب المناسب لهم تنفيذاً للتوجيه الرباني وكذلك يجب التنبيه على أن أسلوب التغيير بالقوة والذي يترتب عليه الإضرار بالآخرين ليس هو منهج الإسلام في طريق الإصلاح والإصلاح وإيضاح ذلك للأبناء وأن من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير فقه أو علم وبلا حكمة ونظر فيما يصلح وما لا يصلح، ويمكن ولا يمكن بأنه معتد على حدود الله، مع أنهم يأتون بالأمر والنهي معتقدين أنهم بذلك يطيعون الله ورسوله، وقد فعل ذلك قبلهم كثير من أهل البدع والأهواء كالخوارج والمعتزلة والرافضة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب د / سارة صالح عيادة الخمشي ص ١٨ كلية الخدمة الاجتماعية المملكة العربية السعودية وأثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية - إبراهيم

مبارك ص ٢٢ - ٣٠ مكتبة العبيكان - الرياض

(٢) قديماً مثل الخوارج وحديثاً مثل التكفير والمجرة

(٣) انظر جهود أئمة الدعوة السلفية بنجد في التصدي للعنف والإرهاب من خلال الدعوة إلى فقه إنكار-

والحقيقة التي لا مراء فيها: أن الجماعة المتمثلة في الأسرة أو المجتمع إذا لم تكسب الشباب إلى جانبها وتقوم بتربيتهم تربية سليمة على منهج الوسطية سوف "يحاول الشاب أن ينتمي إلى جماعات يحاول بها إشباع شعوره بالانتماء والألفة لتلك العشرة والتوافق والانسجام عند التعامل وكلما انعزل الفرد ازداد شعوره بالحاجة إلى تلك الجماعات البديلة التي يجد فيها ما افتقده والتي تحاول تلك الجماعات تعويضه ذلك وتقوم باستدخال قيم ومعايير الجماعة في شخصية الفرد والتي تعارض قيمًا ومبادئ اجتماعية ودينية في المجتمع بحيث تدفعه إلى الضرر وإلى أن يكون سلوك الاجتماعي متسقًا مع قيم ومعايير الجماعة التي لا تعطي على الأقل أهمية بالالتزام بقيم ومعايير المجتمع الأساسية<sup>(١)</sup>.

ولا عجب أن وصل بعض الباحثين إلى حقيقة أن طول الزمن والانتباه اللذين يستثمرهما أولياء الأمور في التعامل مع أبنائهم يرتبط ارتباطًا عكسيًا بأثر جماعة الرفاق على السلوك. بمعنى أن الوالدين وباقي أعضاء الأسرة إذا ما تفاعلوا مع الشباب لوقت أطول وبانتباه مركز، يؤدي ذلك إلى اضمحلال تفاعل الشاب مع رفاقه، وبالتالي إلى أن تكون علاقته بالجماعة علاقة سطحية لا تعرض الشاب إلى الانحدار في مزالق الجنوح والجريمة<sup>(٢)</sup>.

إن تعليم الشباب الوسطية يساعد على "سدّ ذرائع التّطوّف والجنوح بما لا يُغري أحدًا بإثارة الفتن، والادّعاءات الباطلة، والشُّبهات المقيّنة"<sup>(٣)</sup>

المنكر - صالح بن عبد الله الفريح ص ١٨ - ١٩

(١) انظر دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب د / سارة صالح عيادة الخميس ص ١٨ كلية الخدمة الاجتماعية المملكة العربية السعودية ص ٢٤

(٢) المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي - محمد إبراهيم - دار الخريجي للنشر الرياض ١٤٢٤

(٣) دور جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تقنين معالجة الإرهاب وقضاياه أ. الجوهره آل جهجاه

كلية اللغة العربية - جامعة الإمام ص ٢٢

إن تعليم الشباب الوسطية وتربيتهم عليها يؤثر شخصيته تأثيرًا كبيرًا فتحمله ميالا للخير متحليا بالصفات الحميدة ملتزما في سلوكه وتصرفاته التزاما ذاتيا مستمرا بالخلق الكريم عاملا على مساعدة الآخرين مجبا للتعاون ذا نفس مطمئنة ومتفائلة يقبل على الحياة بروح إيجابية وعزيمة متوقدة لا يعجز إن اعترضت طريقه العقبات والعراقيل في محاولاته المستمرة لتخطيها مستعيناً بالله عزّ وجل الذي يؤمن به ويلجأ إليه في السراء والضراء والشدائد ويثق في عونه وتوفيقه<sup>(١)</sup>

وتربية الشباب على روح الوسطية يرسخ حب الله في قلوبهم جبا يجعلهم يحرصون على إرضائه في كل أقوالهم وأعمالهم وسلوكياتهم وتصرفاتهم والاجتناب عن كل ما يفضبه فالإنسان إذا أحب إنسانا يسعى لإرضائه وعدم إغضابه فما بالك إن كان الحبيب هو الله الخالق سبحانه.

فعندما تتم تربية الشباب تربية وسطية متكاملة تصفو أرواحهم وتزكو نفوسهم وتستتير عقولهم وتستقيم أخلاقهم وتتطهر أبدانهم وذلك لارتباطهم الوثيق برهم عزّ وجل الذي يراقبهم في كل حركاتهم وسكناتهم ويشعرون بأنه معهم في كل وقت وفي كل مكان فإن لم يكونوا يرونه فإنهم فيخافونه ويرجونه ويرهبونه ويطمعون في كرمه ويتوكلون عليه ويحسنون الظن به ويثقون في عونه وهدايته وتوفيقه<sup>(٢)</sup>

وبذلك يتبين لنا أنّ تربية الشباب على روح الوسطية مستمد من الإيمان والعمل والعقيدة والأخلاق والموازنة بين مطالب الدنيا والآخرة بلا إفراط ولا تفريط فالتربية الروحية السليمة هي التي ترسم المعيار الصحيح لتنمية مختلف جوانب الشخصية الإنسانية تنمية شمولية، فهي مصدر هداية العقل بالإيمان بالله عزّ وجل وتوحيده وصفاء النفس

(١) انظر أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية د. عبد الحميد الصيد الزناتي ص ٣٢٦

(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٢٦ - ٣٢٧

بسكينتها وطمأنينتها وتركية الأخلاق بالتحلي بالفضائل والقيم والمثل العليا وطهارة الأبدان باستعمال أعضائها وجوارحها في حقها وصورها من المعاصي والفواحش وتسخيرها للعبادة وأعمال الخير النافعة للفرد والجماعة وحسن العلاقة الاجتماعية مع الآخرين بالتكافل والتآزر والتعاون على البر والتقوى<sup>(١)</sup>.

إن تعليم الأمة منهج الوسطية، وتركيتها بذلك، وحملها على العمل به، هو الذي يحقق السعادة للفرد والأسرة والمجتمع معا بدون طغيان بعضها على بعض، كل يأخذ حقه ويؤدي واجبه بدون صراع ولا نزاع ولا تطاحن، بل برضا واطمئنان، فلا يفرض أمن فرد ولا أسرة ولا مجتمع بقوة السلطة فحسب، لأن الفرد والأسرة والمجتمع يؤمنون بالواجبات والحقوق، وبالتعاون على البر والتقوى، فلا طغيان لأحد على سواه، وإذا أراد أحد الاعتداء على غيره، وجد ما يردعه من أحكام الشرع التي كلف الله الأمة تطبيقها على القوي والضعيف.

وفي النهاية أود أن أقول: إن عدم تربية الشباب على الوسطية سوف يؤدي إلى المزيد من تشويه صورة الإسلام، وتشويه صورة كل مسلم، وإيجاد علاقة شكيّة بين الإرهاب والإسلام<sup>(٢)</sup>.

"وكانت البداية حينما انخرقت دعوة الإصلاح أو الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الوجه الشرعي الصحيح، وابتعد الخوارج عن منهاج الوسطية في الدعوة إلى الله، فكان ظهورهم انحرافاً عن منهاج الإسلام في الدعوة إلى الإصلاح وذكرهم الخليفة الراشد علي رضي الله عنه بهذا المنهاج الأقوم والأرشد، ولكنهم تنكبوا الطريق، وعدّوا

(١) انظر مسؤولية المثقف الإسلامي تجاه قضايا الإرهاب د. عثمان بن صالح العامر ص ٤ وانظر من جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب د. سعيد بن عائض الزهراني ص ٤٠ - ٤٢

(٢) دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب رسالة دكتوراه د/ خالد بن صالح بن ناهض الظاهري ص ٧٩ دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

على ولي الأمر وخليفة المسلمين بعد أن بايعه الناس ورضوه إماماً لهم وكان مسلكهم فيما يتظاهرون به من الدعوة إلى الله، على ما تحكي كتب التاريخ الإسلامي واضح البطلان والزيف.

كانوا يتمسكون لفظاً بشعارات الإسلام، ويرتكبون عمداً ما تنكره فرائض الإسلام وشريعته، فلم يصلوا إلى أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، وتفرقت جموعهم إلى فرق شتى، بعضها خرج من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية.

تحكي كتب التاريخ أن جماعة من الخوارج التقوا عبد الله بن خباب بن الارت رضي الله عنه وامرأته حامل متهمة، فجادلوه وقتلوه وامرأته، وشقوا بطنها عدواناً وظلماً، ووضع أحدهم تمره في فمه فذكره زميل له بأنها لا تحل له؟ لأنها من نخل رجل كتابي، فأسرع الخارجي بلفظ التمرة من فمه، كأنه يرى ذلك ذنباً عظيماً أكبر في الإثم من قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق<sup>(١)</sup>.

وقد ابتلي العالم الإسلامي في العصر الحديث في مناطق مختلفة منه بالابتعاد عن منهاج الوسطية في الدعوة، فأضر ذلك كثيراً بانتشار الإسلام والتزام المسلمين بأحكامه. فهناك من فرطوا في الدين، وسعوا إلى تبديل حكم الله، واتباع الأهواء والابتعاد عن جماعة المسلمين.

وهناك من الأدعياء من الذين ينتسبون إلى الإسلام وصفاً للجماعات الإسلامية اسماً فقط من ظنوا أن ذلك لا يصلحه إلا التشدد والغلو، واتهام الأولين بالكفر والمروق من الدين، وإباحة دمائهم وأموالهم دون دليل شرعي سليم. وبدأت تنتشر دعوات وفرق وجماعات من المسلمين، تجانب الوسطية في دعوتها إلى

(١) انظر الكامل في التاريخ - ابن الأثير ٣ / ١٤ وعيون الأخبار - ابن قتيبة الدينوري ص ٢٢٣ البداية والنهاية - ابن كثير ٧ / ١٩٠.

إصلاح القلوب وتزكية النفوس.

ومع الأسف سرعان ما نسب هذا الغلو والتطرف إلى الإسلام، وكأنه منه فأصبحت كلمة الأصولية - وهي كلمة أوروبية المنشأ والأصل - وصفا للجماعات الإسلامية التي يعيها التشدد والغلو، وتكفير الناس واستباحة الدماء والأموال والمساورة إلى الخروج عن الطاعة.

وهذا كله مما يرفضه الإسلام ويدينه، ويرفضه أهل العلم فيه جرى على ذلك فقه السلف والخلف.

## الخاتمة

والآن وقد انتهى بي المطاف إلى الخاتمة بعد أن عشت فترة مباركة في رحاب هذه الدراسة أضع بين أيديكم أهم النتائج:

أولاً: من أهم أسباب بعد الشباب عن الوسطية

١ - اعتماد بعض الدول الإسلامية على أسلوب الحل الأمني فقط في علاج الأخطاء ومنه التكييل والتعذيب الجسدي والنفسي مما يفوق كل تصور، فمماذا يُتوقع ممن وقع عليه ذلك التعذيب لا شك أنه إن كان في رأسه شبهة تكفير فإنها تتأكد حيث يقول: إن هذا العمل لا يكون من مسلم لمسلم، وهذا يزيده عنفاً وقسوة على الأقل من باب المعاملة بالمثل، والأكبر من ذلك هو انعكاس تلك المعاملة على أهله وأقربائه وأحبابه، فلا شك أنهم سيحاولون الانتقام لقربيهم مما يوسع من دائرة من العنف وقد رأينا ذلك كثيراً.

٢ - فتح باب الفساد وتشجيعه أو غض الطرف عنه، وهذا يدفع صاحب الغيرة الدينية ولا سيما من الشباب من اليأس فيتصور أنه لا علاج لهم إلا بالكي؟.

ثانياً: من أبرز أساليب العلاج في نظري القاصر:

١ - فتح جميع قنوات الاتصال بالجماهير أمام دعاة التيار المعتدل الذين يفهمون الإسلام فهماً شمولياً دقيقاً وعميقاً من تلفاز ومذياع وصحف ومحاضرات عامة ودروس بالمساجد ونحوها، وهذا يضيق ويقلل من فرص نشأة التيار المتطرف الذي يتبنى العنف في خطابه

٢ - معرفة الحرية التي جاء بها الإسلام، فالحرية مكفولة في الإسلام ولكن بضوابطها؛ فهي لا تسمح لمن يريد أن يلبس على الناس دينهم، ومن كان في نفسه شبهة من هؤلاء لا بأس من مناظرته وتبيين خطأ منهجه فإن تاب وإلا أقيم عليه الحد المناسب في الإسلام، أو على الأقل يمنع من التصدي للناس في وسائل الإعلام.

فهرس أهم المراجع

- كتاب الله جل شأنه
- ١- الإتيان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي - الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
  - ٢- أحكام القرآن - الإمام الشافعي تحقيق عبد الغني عبد الخالق - دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ
  - ٣- الإحكام في أصول الأحكام - علي بن محمد الآمدي تحقيق د/ سيد الجميلي - دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ
  - ٤- إحياء علوم الدين - الإمام أبي حامد الغزالي تحقيق محمد عبد الملك الزغبي - دار البيان العربي
  - ٥- أخلاقنا د / محمد ربيع جوهرى - دار الطباعة المحمدية - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
  - ٦- أسباب التزول - الإمام علي بن أحمد الواحدي تحقيق أيمن صالح شعبان
  - ٧- الإسلام - سعيد حوى - دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
  - ٨- الإشارات الإلهية - نجم الدين الطوفي تحقيق أبو عاصم حسن بن قطب الفاروق الحديثة الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
  - ٩- الإشارات الإلهية نجم الدين الطوفي تحقيق ودراسة كمال محمد عيسى رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
  - ١٠- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - الإمام فخر الرازي - مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨

١١- بحوث في الفرق الإسلامية د/ محمد الأنور دار الفجر الجديد ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤

م

- ١٢- البداية والنهاية - ابن كثير تحقيق / محمد بيومي وآخرون مكتبة الإيمان
- ١٣- البداية والنهاية - ابن كثير - مكتبة المعارف - بيروت
- ١٤- البرهان في علوم القرآن - محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة بيروت ١٣٩١ هـ
- ١٥- تاريخ الإسلام - الحافظ شمس الدين الذهبي - دار الكتاب العربي
- ١٦- تاريخ الأمم والملوك - ابن جرير الطبري - دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ
- ١٧- تاريخ الخلفاء - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق محي الدين مطبعة السعادة - مصر الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م
- ١٨- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي - محمد عبد الرحمن المباركفوري دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٩- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - عبد العظيم بن عبد القوي المنذري تحقيق: إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٧
- ٢٠- تفسير القرآن العظيم - الحافظ ابن كثير - دار طباعة مصر
- ٢١- تفسير الجلالين - جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي - دار الحديث - القاهرة الطبعة الأولى
- ٢٢- تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني - مؤسسة التاريخ العربي الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
- ٢٣- تهذيب الكمال - يوسف بن الزكي أبو الحجاج المزي تحقيق د/ بشار عواد

معروف - مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠ - ١٩٨٠

٢٤- ثقافة الداعية د/ يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة العاشرة ١٤١٦هـ

٢٥- الجامع لأحكام القرآن - الإمام القرطبي دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ

١٩٦٧م

٢٦- الجامع الصحيح المختصر - محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق: د. مصطفى البغا

دار ابن كثير بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧ - ١٩٨٧

٢٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أحمد بن عبد الله الأصبهاني - دار الكتاب

العربي بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ

٢٨- الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

٢٩- دائرة المعارف الإسلامية - مركز الشارقة للإبداع الفكري الطبعة الأولى ١٤١٩

هـ - ١٩٩٨م

٣٠- الدعوة الإسلامية أصولها وسائلها أساليبها د/ أحمد غلوش - مؤسسة الرسالة

٣١- الدعوة الإسلامية ودعائها د/ محمد طلعت أبو صير ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦

٣٢- روح المعاني - الإمام محمود الألوسي دار إحياء التراث العربي بيروت

٣٣- سماحة الإسلام د/ أحمد الحوفي - نهضة مصر الطبعة الثالثة ديسمبر ١٩٩٨م

٣٤- سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد القزويني - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر

بيروت

٣٥- سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني تحقيق محمد محيي الدين

دار الفكر بيروت

٣٦- سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون دار

إحياء التراث العربي بيروت

٣٧- السلسلة الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف الرياض

٣٨- سير أعلام النبلاء - شمس الدين الذهبي - مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

٣٩- الشيعة الإثناعشرية ومنهجهم في التفسير د/ محمد العسال دكتوراه بكلية أصول

الدين القاهرة ١٩٨٢

٤٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان التميمي تحقيق شعيب

الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

٤١- صحيح مسلم بشرح النووي تحقيق صلاح عويضة - دار المنار

٤٢- صحيح موارد الظمان - ناصر الدين الألباني - دار الصميعي - السعودية الطبعة

الأولى ١٤٢٢-٢٠٠٢

٤٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - دار الحديث

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

٤٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل الإمام أبي محمد المعروف بابن حزم الظاهري

تحقيق د/ محمد إبراهيم و د/ عبد الرحمن عميرة مكتبة عكاظ الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

٤٥- فضل الدعوة إلى الله تعالى د/ فضل إلهي - مؤسسة الجريسي - الرياض الطبعة

الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٤٦- في ظلال القرآن - الشيخ سيد قطب - دار الشروق الطبعة السادسة عشرة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

٤٧- الكامل في التاريخ - ابن الأثير - دار صادر بيروت

٤٨- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور دار صادر بيروت الطبعة الأولى

- ٤٩- اللمع في أصول الفقه - أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- ٥٠- مجمع الزوائد مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ
- ٥١- مختار الصحاح - الإمام محمد بن أبي بكر الرازي
- ٥٢- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل - عبد القادر بن بدران الدمشقي تحقيق د/ عبد الله التركي مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠١هـ .
- ٥٣- المستدرک علی الصحیحین - محمد بن عبد الله النيسابوري تحقيق مصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م
- ٥٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة - القاهرة
- ٥٥- مسند أبي يعلى - أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي تحقيق حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
- ٥٦- المصباح المنير - أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي - المكتبة العلمية - بيروت
- ٥٧- معالم التنزيل - الحسين بن مسعود البغوي تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون دار طيبة الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
- ٥٨- المعجم الكبير - سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق حمدي بن عبدالمجيد مكتبة العلوم والحكم - الموصل الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م
- ٥٩- المعجم الصغير - سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق محمد شكور محمود المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- ٦٠- مفاتيح الغيب - الإمام فخر الدين الرازي
- ٦١- الملل والنحل محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت ١٤٠٤هـ
- ٦٢- هذا ديننا - محمد الغزالي - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٠٢٩
المبحث الأول : مفهوم الوسطية	١٠٣١
المبحث الثاني: أسس الوسطية	١٠٥٢
المبحث الثالث: سبل تحقيق الوسطية	١٠٧٤
المبحث الرابع: الآثار المترتبة على تحقيق الوسطية لدى الشباب	١٠٨٤
الخاتمة	١٠٩١
فهرس المراجع	١٠٩٢
فهرس الموضوعات	١٠٩٧

\*\*\*